٤٦
تصدر منتصف كل شهر هجري (وفي كل شهرين مرة مؤقتاً) السنة التاسعة ـ ١٥ رجب / ١٤٢٥ هـ

الأصالة

رسالة إسلامية منهجية جامعة

عودة إلى الكتاب والسُّنَّة بفهم سلف الأمة

إقرأ في هذا العدد . . .

بلاد الشام ومستقبل الإسلام ... أسرة التحرير

وكذلك جعلناكم أمة وسطاً ... الشيخ محمد بن موسى آل نصر

خطورة الإعراض عن ذِكر الله ... الشيخ هشام العارف

قطف الورود من حديث أبي زرع الودود ... الحارث بن زيدان المزيدي

يحبهم ويحبونه ... نجلاء الصالح

بيان العلم مسؤولية الجميع ... أسرة التحرير

الأصالة
أشعر أنها اسمٌ على مسمّى إن شاء الله
الشيخ العلامة
محمد ناصر الدين الألباني
رحمه الله
مجموع فتاويه
(رقم ٦٣١٨)

الناشر
مركز الإمام الألباني للدراسات المنهجية والأبحاث العلمية
تلفون : ٣٦١١٢٣٢ ـ ٥ ـ ٠٠٩٦٢

الأصالة

رسالة إسلامية منهجية جامعة

٤٦

عودة إلى الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة

السنة التاسعة — تصدر منتصف كل شهر هجري (وفي كل شهرين مرة مؤقتاً) الناشر (مركز الإمام الألباني للدرسات المنهجية والأبحاث العلمية)

١٥ رجب ١٤٢٥هـ

أسرة التحرير

الشيخ/ د. محمد بن موسى آل نصر ..... رئيساً

الشيخ/ سليم بن عيد الهلالي ..... عضواً

الشيخ/ علي بن حسن الحلبي الأثري .... عضواً

الشيخ/ مشهور بن حسن آل سلمان ..... عضواً

اللجنة العلمية الاستشارية

الشيخ/ عبدالمحسن بن ناصر آل عبيكان

الشيخ/ حسين بن عودة العوايشة

الشيخ/ عبدالله بن صالح العبيلان

الشيخ/ فتحي بن عبدالله الموصلي

عنوان المراسلة

الأردن

ص.ب (٢٦٩٩) الرمز البريدي (١٣٧١٣).

تلفاكس: ٣٦١١٢٣٢ - ٥ - ٠٠٩٦٢

موقعنا على شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت):

www.albanicenter.com

البريد الإلكتروني:

albani1421@hotmail.com

ترسل المقالات والاشتراكات باسم رئيس تحرير مجلة الأصالة

وتطلب (الأصالة) من جميع المكتبات السلفية في العالم.

ثمن النسخة

الأردن: (دينار)، الإمارات المتحدة: (١٠ دراهم)، البحرين: (دينار)، السعودية (١٠ ريالات)، الكويت: (٨٠٠فلس)، أوروبا (٤دولارات)، أمريكا (٥دولارات).

الاشتراكات

- المملكة العربية السعودية (٩٠ ريالاً).
- بقية الدول العربية (٢٥ دولاراً).
- أوروبا (٣٠ دولاراً).
- أمريكا (٥٠ دولاراً).

إخواننا القراء

نرحب بكل مقال علمي رصين، ونرغب في كل نقد هادف بنّاء

في (الأصالة):

منبر لكل مسلم مخلص داعٍ على الحق . .

- وفقنا الله وإياكم لكل خير -.

صاحب الامتياز والمالك: (شركة الأصالة للاستشارات الثقافية)

ترخيص دائرة المطبوعات والنشر برقم (٤/٣/١٣٢٨)- رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (٢٠٠٢/٣/٢٢٠٣/د).

إنَّ الحَمْدَ لله؛ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾.

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ خَيْرَ الحَدِيثِ كِتَابُ الله، وَأَحْسَنَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالةٌ، وَكُلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ.

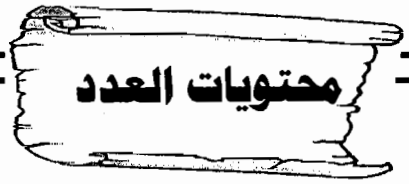

محتويات العدد

. **فاتحة القول:** بلاد الشام ومستقبل الإسلام

أسرة التحرير ٥

. **تأملات قرآنية:** وكذلك جعلناكم أمة وسطاً

الشيخ أبو أنس محمد بن موسى آل نصر ٨

. **في التزكية الإيمانية:** من دقائق أعمال القلوب

الشيخ أبو الحارث علي بن حسن الحلبي ١١

. **ذكرى وتذكير:** خطورة الإعراض عن ذِكر الله (١)

الشيخ أبو عبدالرحمن هشام العارف المقدسي ١٥

. **مباحث حديثية:** إعلام النبية بتضعيف روايات (وأبيك) و(أبيه) (٤)

الوليد بن نبيه بن سيف النصر ١٩

. **مسائل فقهية:** المال وأحكامه (٢)

الشيخ أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ٢٦

. **كلمات في الدعوة والمنهاج:** تحذير السلف من تمييع الخلف

الشيخ سيمر المبحوح ٣٢

. **أمام التحديات:** المجتمع الإسلامي المعاصر والتحدي الحضاري (٢)

الشيخ أبو أسامة سليم بن عيد الهلالي ٣٤

. **من دلائل النبوة:** أحاديث ورجال (١)

الشيخ أكرم بن محمد زيادة ٤٠

. **معارف ولطائف:** قطف الورود من حديث أبي زرع الودود

الحارث بن زيدان المزيدي ٤٨

. **مسائل شرعية :** الجامع لمسائل الاستغفار (٢)

أبو عبدالرحمن محمود سلامة المهر ٦٠

. **ركن المرأة:** يحبهم ويحبونه(١)

نجلاء الصالح ٦٧

. **متابعات :** نشاطات مركز الإمام الألباني

لجنة المتابعة ٧٥

. **مسك الختام:** بيان العلم مسؤولية الجميع

أسرة التحرير..... ٨٣

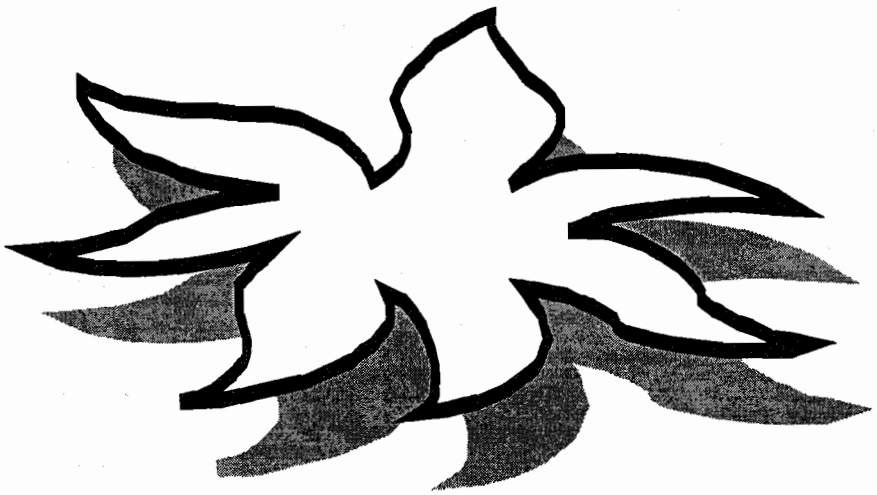

إيمانُ أهلِ الشّام .. ومُستقبلُ الإسلام

● بقلم: أسرة التحرير

. . . في الحديثِ الذي رواه الإمامُ مسلمٌ في «صحيحه» (١٩٢٥) - عن سعد بن أبي وقّاص -رضي الله عنه-، عن النبي ﷺ، قال:

«لا يزالُ أهلُ الغرب ظاهرين على الحقِّ؛ حتى تقومَ الساعةُ».

وأهلُ الغرب -في الراجح مِن أقوال الأئمّة والشُّراحِ-؛ هم: أهلُ الشام.

ومِمّا يؤكِّد هذا المعنى -على وَجْهِ الحَتْم واللّزوم: ما رواه الإمَامُ المُبَجَّلُ أحمدُ بنُ حَنْبَل -رحمه الله-تعالى- في «مسنده» (٥/ ١٩٨-١٩٩-رقم ٢١٧٣٣) عن أبي الدّرداء، قال: قال رسول الله ﷺ:

« بَيْنا أنا نائِمٌ؛ إذ رَأَيْتُ عَمُودَ الكِتابِ احْتُمِلَ مِن تَحتِ رأسي؛ فَظَنَنتُ أَنَّهُ مَذهُوبٌ به، فأَتْبَعْتُهُ بَصَرِي، فَعُمِدَ به إلى الشّام.

ألا وإنَّ الإيمانَ -حين تقع الفتنُ- بالشّام».

وقد قال الحافِظُ محمد بنُ عبد الهادي -رحمه اللهُ- في كتابِهِ «فضائل الشّام» (ص٢١):

«هذا الحديثُ مشهورٌ.

وإسناده -عندي- على رَسْم البُخاريّ».

وصحّحه شيخُنا الإمامُ الألبانِيُّ -رحمه الله- في «تخريج أحاديث فضائل الشّام» (ص١٥).

ورواه البيهقيّ في «دلائلُ النبوّة»، (٦/ ٤٤)، وقال:

«هذا إسنادٌ صحيح ».

وأورد الإمام الحافظُ ابنُ رَجَبٍ الحنبَلِيُّ -رحمه الله- في كتابه «فضائل الشّام»

(٢٥) -مجزوماً به- في (الباب الثاني: فيما ورد في استقرار العلم **والإيمان** بالشّام)[1].

ولقد قال شيخُ الإسلام في «مناقب الشّام وأهلِه» (ص٧٨):

«فمكّةُ هي الأوّلُ، والشّامُ هي الآخِرُ: في الخَلْقِ والأمر -في الكلمات الكونيَّة والدينيَّة-».

وفي (ص٨٥) -منه- لمّا ذَكَرَ حديثَ النبيِّ ﷺ: «عُقْرُ دار المؤمنين الشّام»، قال:

«... وبهذا استدلَلْتُ لقومٍ... في فتنٍ قام فيها علينا قومٌ مِن أهل الفجور والبدع -الموصوفين بِخِصالِ المُنافِقِين-، فأخبرتُهم بهذا الحديث..».

وهذا الحديثُ مرويٌّ في «مسند الإمام أحمد» (٤/ ١٠٤-رقم:١٦٩٦٥) -وغيره-.

وسنده حَسَنٌ.

و «عُقْرُ» الشيء: أصلُهُ، وموضعُه -كما في «النّهاية» (ص٦٣٠)-لابن الأثير-.

فنقولُ -بَعْدُ-:

كيف -باللهِ- تُتَّهَمُ البقيَّةُ الباقِيَةُ مِن أهل السنّة -في الشّام- القائمةُ بوجهِ المبتدعَةِ، والحزبيِّين، والتكفيريِّين، والغوغائِيِّين -ومقدَّمُ أهلِ السنّة-فيهم- شيخُنا الإمام الألبانيُّ -رحمه الله-، والدعاةُ إلى منهج السَّلَف -مِن أبنائِه، وطُلاّبِه، وأصحابِه-: أنّهُم مُرجئةٌ!!

وهذا -في حقيقتِهِ، ومُؤَدَّاهُ- خَلَلٌ في مسائل (الإيمان)!

و(الإيمانُ) المذكورُ في الحديثِ -ولا بُدَّ- إيمانٌ حَقٌّ صحيح؛ مُوافقٌ لمنهَجِ أهل السنَّة الصَّرِيح، ومذهب السّلف -الرَّجِيح-.

فكيف يجتمعُ النّقيضان: اعتبارُ (الإيمان)، و الخَلَلُ في (مسائل الإيمان) -في آن-؟!

﴿ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾..

والناظِرُ -بإنصافِ نفسٍ- في كتابِ «مُجمل مسائل الإيمان والكُفر -العلميَّة-، في أُصول العقيدة السلفيَّة»، وكتابِ «التعريف والتنبئة بتأصيلاتِ الإمام الألبانيّ في مسائل الإيمان، والردّ على المرجئة»: يَرى -بغير أدْنى لَبْسٍ- بُطلانَ ذلك الزعمِ، وفشلَ تلكم الفِريةِ...

وَرَحِمَ اللهُ شيخَ الإسلام ابن تيميَّة؛ الّذي قال -منذُ قرونٍ وقرون- كما في «مجموع الفتاوى» (٧/ ٤٣٢)-:

---

(١) ولم يُصِب بعضُ مشايخنا المعاصرين -رحمهم الله-؛ مُرجِّحين عدمَ صحّة أيّ حديث في فضائل الشام!

«وكان أهلُ الشّام شديدين على المُرجِئَة».

فهذا -والحمدُ للهِ- موافقٌ للحقِّ، ومُطابقٌ للواقِع -ولا يزال-...

والمتأمّلُ في الدّعوةِ الإصلاحيّةِ التي قام بها -قبلَ قرنينِ مَن الزّمن- الإمامُ المجدّدُ محمدُ بن عبدالوهابِ -رحمه الله- في (نجد والحجاز): يَرى أنَّ أُصولَها العلميّةَ، وقواعدَها الشّرعيّةَ راجعةٌ إلى شيخِ الإسلامِ ابن تيميةَ، ودعوتِهِ الشّاميَّة . . .

فكما جُلِبت الأصنام -قبل فجر الدّعوة- مِن الشام: فإنَّ فُؤوسَ تحطيمها، وأنوارَ دعوتِها جاءت -بعد عُلُوِّ رايةِ الدّعوة، ورِفْعتِها- مِن الشّام . . .

وبعدُ:

فلا يَضُرُّنَا غَلَطُ الغالِطين، ولا وَهَمُ الواهِمين، ولا فِرى المُفترين، ولا سَخَطُ السّاخِطين، ولا تقوُّلاتُ المُتَقَوِّلين...

وأمّا الّذي تَرْنُو إليه عيونُنا، وتهفو نحوَه قلوبُنا؛ فهُوَ:

حُجّةٌ وبَقين...

ودلائلُ الشَّرْعِ والدِّين:

مِن كِتابِ الله ربّ العالَمين، وسُنَّةِ سيّد المرسَلين..

... لِتَذِلَّ لها رؤوسُنا، وتخضَعَ لها رِقَابُنا مُطمئِنّين، خاضِعين بالبَرَاهِين...

والتاريخُ، والواقِعُ، والحقائقُ؛ كُلُّ ذلِكَ يشهَدُ:

أنَّ كثيراً -مِن مُخالِفينا- في كثيرٍ مِمّا يُخالِفُونَنا!- لم يُصيبُوا الحَقَّ، ولم يُوافِقُوا الهَدْيَ الأَمين...

وأنَّ ما عِندنا حَقٌّ صُرَاح مُبين.

والحمدُ للهِ ربِّ العالَمِين....

ولكنَّنا نحمدُ اللهَ -سبحانَه- وهو للحمدِ أهلٌ- ولا يُحْمَدُ على مكروهٍ سِواه- أنّهم بدؤوا (!) يُراجِعُون، ويرجِعون، ويتراجَعُون...

﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا﴾...

و﴿يُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾..

وكم كُنّا -واللهُ يشهَدُ- نُسلِّي أنفُسَنا، ونُصبِّرُ إخوانَنا على ما نَلْقَى مِن ظُلمٍ، وكيدٍ، وضَيْمٍ- بذكرِ وَتَذَكُّرِ- قولِ الله -تعالى- مُسْتَأْنِسين:

﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾..

والمِنَّةُ للهِ -وحدَهُ- أنّنا عايَشْنَا هذا الحَقَّ ببصائِرِنا، قبل أن تُعاينَهُ أبصارُنا...

والحمدُ للهِ ربّ العالمين..

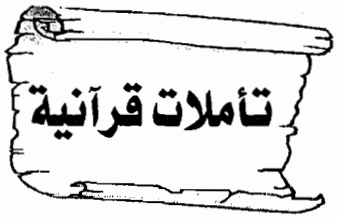

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾

• بقلم: الشيخ أبي أنس محمد بن موسى آل نصر

لقد كان من حكمة الله -تعالى- أن اختار الوسطية والتوازن شعاراً مميزاً لهذه الأمة التي هي آخر الأمم، ولهذه الرسالة التي ختم بها الرسالات الإلهية، وبعث بها خاتم أنبيائه رسولاً للناس جميعاً ورحمة للعالمين.

وإلى هذه الحقيقة البارزة يشير قوله -تعالى- مخاطباً أمة الإسلام: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة:١٤٣].

ومن وسطية منهجها ونظامها - فهو منهج وسط لأمة وسط -: منهج الاعتدال والتوازن؛ الذي سلم من الإفراط والتفريط، ومن الغلو والتقصير.

وإن وسطية الإسلام من أبرز خصائصه، ولذلك نجد الإسلام يقدم المنهج الوسط في كل شأن من شؤون الحياة، ولا يكتفي بهذا، بل يحذر من المصير إلى أحد الانحرافين: الغلو والإفراط، والتقصير والتفريط، مصداقاً لقوله -تعالى-: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة:٦-٧].

ودين الله وسط بين الجافي عنه والغالي فيه، كالوادي بين جبلين، والهدى بين ضلالتين، والوسط بين طرفين ذميمين، فكما أن الجافي عن الأمر مضيّع له، فالغالي فيه مضيّع له -كذلك-، هذا بتقصيره عن الحد، وهذا بتجاوزه الحد[1]، قال الله -تعالى-: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ [الأنعام:١٥٣].

قال ابن القيم: «وهذا الصراط المستقيم الذي وصَّانا الله -تعالى- باتِّباعه هو الصراط

(١) انظر: «مدارج السالكين» (٢/ ٤٩٦) للإمام ابن قيم الجوزية.

الذي كان عليه النبي ﷺ وأصحابُه، وهو قَصْدُ السَّبيل، وما خرج عنه فهو من السُّبُل الجائرة، لكنَّ الجَوْرَ قد يكون جَوْراً عظيماً عن الصراط، وقد يكون يسيراً، وبين ذلك مراتب لا يحصيها إلا الله.

وهذا كالطريق الحِسِّيِّ؛ فإن السالك قد يعدل عنه ويجور جَوْراً فاحشاً، وقد يجورُ دون ذلك.

فالميزان الذي تُعرف به الاستقامة على الطريق والجور عنه هو ما كان رسول الله ﷺ وأصحابه عليه، والجائر عنه إما مفرِّطٌ ظالم، أو مجتهد متأوِّل، أو مقلِّد جاهل، وكلُّ ذلك قد نهى الله عنه، فلم يبق إلا الاقتصاد والاعتصام بالسُّنَّة، وعليها مدار الدِّين »[1].

* مَعْنَى الوَسَطِيَّة:

في اللغة: من التوسط والوسط، «والوسَط بالتحريك اسم لعَيْنٍ ما بين طرفي الشيء، كمركز الدائرة، وبالسكون اسم مبهم لداخل الدائرة مثلاً »[2].

« فمن الأصل الوسط من كل شيء أعدله، ووسط الشيء ما بين طرفيه »[3].

فمعاني الوسطية راجعة إلى العدالة والخيرية والفضل والتوسط والبَيْنِيَّة، لا إفراط ولا تفريط، ولا غلو ولا جفاء.

قال الله -تعالى-: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة:١٤٣]، وقال ﷺ: « يجيء نوح وأمته، فيقول الله -تعالى-: هل بلّغت؟ فيقول: نعم أي رب، فيقول لأمته: هل بلّغكم؟ فيقولون: لا، ما جاءنا من نبي، فيقول لنوح: من يشهد لك؟ فيقول: محمد ﷺ وأمته، فنشهد أنه قد بلّغ، وهو قول الله -جل ذكره-: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ والوسط العدل»[4].

* وَسَطِيَّةُ أُمَّةِ الإِسْلامِ بين الأُمَمِ:

١ - هم وسط في حق الله:

فليست أمة الإسلام كاليهود تنسب إلى الله ما لا يليق به وتصفه بالنقائص فتلحق

(١) « إغاثة اللهفان » (١/ ١٣١).

(٢) « نظم الدرر» للبقاعي (١/ ٢٦١). وانظر: « لسان العرب » (٧/ ٤٢٨).

(٣) المرجع السابق (١/ ٢٦٢).

(٤) أخرجه البخاري (٣٣٣٩، ٤٤٨٧، ٨٣٤٩)، والترمذي (٢٩٦١) -وغيرهما- من حديث أبي سعيد -رضي الله عنه-.

وبنحوه أخرج الطبري في « تفسيره » (٢/ ٧) من حديث أبي هريرة.

الخالق بالمخلوق، وتعبد مع الخالق عُزَيْراً وتقول : إنه ابن الله !

وليست كالنصارى القائلين بالتثليث، والتي ألحقت المخلوق الناقص بالرب الكامل!

أما هذه الأمة فلم تصف الرب بالنقائص ولم تُلحق المخلوق به، فهي تعبد إلهاً واحداً له صفات الكمال والجلال .

وفي مقابل ذلك ليست كالدهرية النافين للإله، وليست كالمجوس والمانوية القائلين بتعدد الآلهة!

٢ – هم وسط في حق أنبياء الله عليهم السلام :

فليست أمة الإسلام كاليهود تسب الأنبياء وتنتقصهم وتكذبهم وتكفر بهم وتستحلّ دماءهم.

وليست كالنصارى الذين غلوا فيهم حتى جعلت عيسى ابن الله، فهذه الأمة تؤمن بهم، وتعتقد أنهم خلق الله معصومون، خصهم الله بالوحي والرسالة اصطفاءً واختياراً لهم، وتفضلاً وتكرماً على عباده بإقامة الحجة عليهم .

٣ – هم وسط في الطهارة من النجاسات:

فليست أمة الإسلام كالنصارى التاركين للطهارة، فقد يصلي أحدهم في كنيسته وقد أصاب ثوبه بول، وليست كاليهود الذين إذا أصابتهم نجاسة قرضوها من الثوب، فلا يطهرها ماء الدنيا كلُّه .

أما هذه الأمة فلا يصلون بالنجاسة، ولا يشقّون الثوب الذي أصابه نجاسة، بل يغسلونه حتى تزول النجاسة منه ويصلون به.

٤ – هم وسط في مجالسة المرأة الحائض :

فاليهود يبتعدون عن الحائض ؛ لا يؤاكلونها ولا يجتمعون بها، والنصارى يجالسونها ويؤاكلونها بل ويجامعونها .

أما المسلم فلا يبتعد عن زوجته الحائض بل يؤاكلها، ويباشرها -بغير الجماع-.

٥ – هم وسط في المحرمات من المآكل والمشارب : فاليهود حرم عليهم كل ذي ظفر، قال -تعالى- : ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴾ [الأنعام:١٤٦] .

والنصارى استحلوا الخبائث بل وجميع المحرّمات .

أما هذه الأمة فأحلت لهم الطيبات وحرمت عليهم الخبائث .

٦ – هم وسط في حكم القصاص :

فاليهود فرض عليهم القصاص، والنصارى فرض عليهم التسامح عن القصاص، أما هذه الأمة فهي مخيرة بين القصاص والدية والعفو .

. . فالحمد لله على الإسلام والسنة.

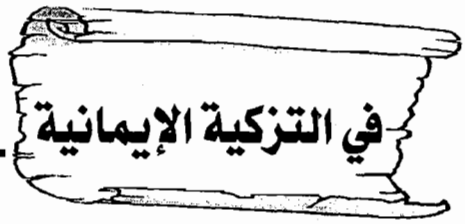

مِن دقائقِ أَعمالِ القُلُوب . . .

• بقلم: الشيخ أبي الحارث علي بن حسن الحلبي الأثري

مِن غُرَرِ دُرَرِ كلماتِ الإمام ابن قيّم الجوزيّةِ – رحمه الله – قولُهُ[1]:

«لا يجتمعُ (الإخلاصُ في القلبِ، ومحبّةُ المدحِ والثناء)، و (الطمعُ فيما عندَ الناس)؛ إلا كما يجتمعُ الماءُ والنّارُ، والضبُّ والحوتُ:

فإذا حَدَّثَتْكَ نفسُكَ بطلبِ الإخلاصِ فَأقبِل على الطَّمعِ – أولاً – فاذبحهُ بسكّينِ اليأس، وأقبِل على المدحِ والثّناءِ: فازهَد فيهما زُهدَ عُشّاقِ الدُّنيا في الآخرة، فإذا استقام لكَ ذبحُ الطمعِ والزّهدُ في الثناءِ والمدح: سَهُلَ عليكَ الإخلاص.

فإن قلتَ: وما الذي يُسَهِّلُ عليَّ ذبحَ الطمعِ، والزُّهدَ في الثناءِ والمدح؟

قلتُ: أمّا ذبحُ الطمعِ؛ فيُسهِّلُهُ عليك علمُك – يقيناً – أنّه ليس من شيءٍ يُطمَعُ فيه إلا وبيدِ الله – وحدَهُ – خزائنه لا يمتلكها غيرُه، ولا يؤتي العبدَ منها شيئاً سواهُ.

وأمّا الزهدُ في الثناءِ والمدحِ؛ فَيُسهِّلُهُ عليكَ علمُكَ أنّهُ ليسَ أحدٌ ينفعُ مدحُهُ ويَزين، ويضرُّ ذمُّهُ ويَشينُ إلا الله –وحدَه–؛ كما قال الأعرابيُّ للنبيِّ ﷺ: إن مدحي زَينٌ، وذَمّي شَينٌ، فقال: «ذلكَ الله – عزَّ وجلّ –»[2].

(١) في كتابه العظيم «الفوائد» (ص٤٢١-٤٢٢ - «فوائد الفوائد» - نسختي).

(٢) رواه الترمذي (٣٢٦٦) بسند صحّحه شيخنا –رحمه الله–.

فَازْهَد في مدحِ مَن لا يزينُكَ مدحُهُ، وفي ذمِّ مَن لا يَشينُكَ ذمُّهُ.

وارغبْ في مدحِ مَن كُلُّ الزَّينِ في مدحِهِ، وكلُّ الشَّينِ في ذمِّه .

ولن يُقدَرَ على ذلكَ إلا بالصبرِ واليقين ؛ فمتى فقدتَ الصبرَ واليقينَ كنت كَمَن أرادَ السفرَ في البحرِ في غيرِ مركب! قال -تعالى-: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الروم: ٦٠]، وقال -تعالى-: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤] » .

أقول :

هذه كلماتٌ عاليات، وإضاءاتٌ غاليات ؛ كنتُ قرأتُها للمرّةِ الأولى -قديماً جداً- قبل نحوِ رُبعِ قرنٍ من الزّمان، وكان لها -وَرَبِّي- أثَرٌ كبيرٌ في نَفْسي ؛ تربيةً، وجهاداً، وفقهَ نفسٍ .

مع أنَّ المعلومَ -بداهةً- عند كُلِّ ذي نظر -: أنَّ النفسَ الإنسانيةَ كثيراً ما تجمحُ على أصحابها، وتَجنحُ بأربابِها ؛ مما يستدعي لها المزيدَ من الاهتمام ! والكثيرَ مِن الإصلاح للتّمام !!

فاللهمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ ...

ومِن أجلِ ذا -لعلّه لعلّه!-: يُجاهدُ الواحدُ فينا نفسَه، ويُناضِلُ شيطانَه؛ كما قالَ ربُّ العالمين : ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ﴾ [العنكبوت: ٦٩]؛ كي تصْلُحَ أو يَنْصَلِحَ . . .

لكن ؛ يظهرُ لي -واللهُ أعلمُ وأجلّ- أن ثمّةَ فَرقاً دقيقاً بين (المدح)، و (حبّ المدح) :

فالأول : قد لا يكونُ للشخصِ به صِلةٌ -أصلاً وأساساً- ولو مع (الرِّضا) به -فرعاً وتَبَعاً-.

وأمّا الثاني : فهو الآفةُ والبليّة، الذي تتشوّف له النفوسُ غيرُ الغنيّة ؛ والّتي لا ينجو مِن سوادِها إلا القليلُ مِن البريَّة ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [يوسف: ٥٣] ...

ومِن هذه البَابَةِ -نفسِها- تفريقاً دقيقاً- قولُ الإمام ابن القيِّم -نفسه- رحمه الله- في كتابه «الروح» (ص ٣٦٨) -مفرّقاً بين (التحدُّث بِنِعَمِ الله)، و (الفَخْرِ بِها) -؛ قال :

«المتحدِّثُ بالنعمةِ مُخبِرٌ عن صفاتِ وليِّها، وَمَحْضِ جُودِهِ وإحسانِه ؛ فهو مُثْنٍ عليه بإظهارها، والتحدُّثِ بها ؛ شاكراً له، ناشِراً لجميعِ ما أولاه ؛ مقصودُه بذلك إظهارُ صفاتِ الله، ومدحُه، والثناءُ عليه، وبعثُ

النفسِ على الطلبِ منه دونَ غيره، وعلى صُحبتِه ورجائِه، فيكون راغباً إلى الله بإظهارِ نِعَمِه، وَنَشرِها، والتحدُّثِ بها.

وأمّا الفخرُ بالنِّعَم : فهو أن يستطيلَ بها على الناس، ويُريَهم أنّه أعزُّ منهم، وأكبرُ؛ فيركبُ أعناقَهُم، ويستعبدُ قلوبَهُم، ويستميلُها إليه بالتعظيمِ والخِدمة ؛ قال النعمانُ بنُ بشير : إن للشيطانِ مَصَالِيَ[1] وفُخوخاً، وَإنَّ مصاليَه وفخوخَه : البَطَرُ بنعَم الله، والكِبْرُ على عبادِ الله، والفَخْرُ بعطيّةِ الله، واتِّباعُ الهوى في ذاتِ الله».

ولعلَّ هذا الفَرْق -الدقيق- يظهرُ بصورةٍ أَوْضَحَ، وينكشفُ بمعنىً أفصَحَ: في الأثر السلَفيّ الذي علّقه الإمام البخاري في «صحيحه» (١/ ٢٥٨) عن الإمام ربيعةَ بنِ أبي عبد الرحمن -رحمه الله-؛ قال :

«لا ينبغي لأحدٍ عنده شيءٌ من العلم أن يُضَيِّع نفسَه» .

وقد وصلَه الإمام البيهقي في « المدخل» (٦٨٧) .

ومن معانيه - فيما ذكر الحافظُ ابن حجرٍ في «فتح الباري» (١/ ١٧٨) - :

«أن يُشهِر العالمُ نفسَه، ويتصدّى للأخذ عنه، لئلاّ يضيعَ علمُه» .

ولكنَّ هذا الشأنَ -حقيقةً- يحتاجُ إلى رِقّةٍ عاليةٍ، وشفافِيةٍ رَاقيةٍ؛ تنزعُ الواحدُ مِنّا مِن حَبْسِ هواه، وترفعُهُ إلى رضى مولاه . . .

فهل مِن قادرٍ؟!

وهل مِن مستطيعٍ؟!

وأخيراً - وليس آخِراً - كما يقال ! - أنقلُ لنفسي، ولإخواني المحبّين، الصادقين الواثقين : دعواتٍ رائقة ؛ رأيتها في ختامِ طبعة قديمةٍ مِن كتاب «فتح الباري بشرح (صحيح البخاري) »[2] (٣/ ٤٧٤) - وَعظاً وتذكيراً - ؛ فها هي ذي:

«إلهي : لو أردتَ إهانَتَنا لم تهدِنا، ولو أردتَ فضيحتَنا لم تستُرنا، فتمِّم اللهمّ ما بهِ بدأتَنا، ولا تسلُبْنا ما بهِ أكْرَمْتَنا .

---

(١) مفردها: مَصْلاة، وهي: المصيدة.

وأثر النُّعمانِ: رواه البُخاري في «الأدرب المفرد» (٥٥٣)، وحسّنه شيخنا -رحمه الله-.

وقد رُوي مرفوعاً -ولا يصحّ-؛ فانظر له: «السلسلة الضعيفة» (٢٤٦٣).

(٢) طبعة بولاق، سنة (١٣٠١هـ).

وانظر «طبقات الشافعية الكبرى» (٨/ ٢٠٠)

إلهي : عرّفْتَنا بربوبيّتِك، وغرّقتنا في بحارِ نعمتِك، ودعوتنا إلى دارِ قُدْسِك، ونعَّمتنا بذِكرك وأُنسِك .

إلهي : إنّ ظُلمةَ ظلمِنا لأنفسِنا قد عمّت، وبحارَ الغفلةِ على قلوبنا قد طمّت ؛ فالعجزُ شامل، والحَصَرُ حاصل، والتسليمُ أسلَم، وأنت بالحالِ أعلَم .

إلهي : ما عصيناكَ جَهلاً بعقابِك، ولا تعرُّضاً لعذابِك، ولا استخفافاً بنظرِكِ ؛ ولكنْ سوَّلَت لنا أنفُسُنا، وأعانَتنا شِقوَتُنا، وغرَّنا سِترُك علينا، وأطْمَعَنا في عفوِك بِرُّك بنا؛ فالآنَ مِن عذابِكَ مَن يستنقِذُنا ؟! وبِحبلِ مَن نعتصمُ إن أنتَ قطعتَ حبلكَ عنّا ؟!

واخجْلَتَنا من الوقوفِ بين يديك !

وافضيحَتَنا إذا عُرِضَت أعمالُنا القبيحةُ عليك !

اللهم اغفِر ما عَلِمتَ، ولا تهتِك ما ستَرتَ .

إلهي: إنْ كنّا قد عصيناك بجهلٍ؛ فقد دعوناك بعقل، حيثُ علمنا أن لنا ربًّا يغفِرُ ولا يبالي .

إلهي: أنتَ أعلمُ بالحالِ والشكوى، وأنت قادرٌ على كشفِ البلوى .

اللهم يا من سترتَ الزلاّت، وغفرتَ السيِّئات، أجِرنا من مَكرِك، ووفّقنا لشكرِك .

إلهي : أتحرِقُ بالنارِ وَجْهاً كان لك مصلّياً، ولساناً كان لك ذاكراً أو داعياً ؟!

فارحم – اللهم – عباداً غرَّهُم طولُ إمهالِك، وأطمَعَهُم كثرةُ أفضالِك، وذلُّوا لِعِزِّك وجلالك، ومدّوا أكفَّهم لطلب نوالِك، ولولا هدايتُك لم يصِلوا إلى ذلك».

. . . فاللهمّ ارزُقنا الإخلاصَ في القولِ والعَمَل، واجْعَلنا في عُيونِنا صِغاراً، وفي عيونِ الناسِ كباراً .

و «رَحِمَ اللهُ امْرءاً أهدى إليَّ عُيوبي» .

وأستغفِرُك – اللهمّ – مِن تقصيري وذُنوبي ...

﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥] .

... وآخرُ دعوانا أنِ الحمدُ لله ربِّ العالمين.

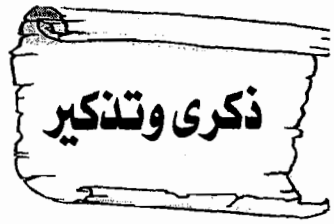

الحلقة الأولى

خطورة الإعراض

عن ذكر الله -تعالى-، وترك حضور مجالس العلم النافع

• بقلم: الشيخ أبي عبدالرحمن هشام العارف المقدسيّ

الناس في هذه الأيام -إلا من رحم ربي- غافلون عن إدراك العواقب لإهمالهم سماع ذكر الله -تعالى-، وتدبر كلامه في القرآن العظيم، كما قال -تعالى- في أوّل سورة الأنبياء: ﴿ ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴾ [الأنبياء:١]. لذلك أَمَرَ الله -تعالى- بإقامة الحجة على الكافر الذي لم يذعن لأمر الله، واختار الباطل بمحض إرادته، فكان في كتاب الله -تعالى- الإنذار ترهيباً بالصور التالية:

١) الأمر بتعلم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، والإقبال على مجالس العلم النافع:

فبعد أن أمر الله -تعالى- بالقراءة والكتابة والتعلم -في سورة العلق-، بل كرّر الأمر فيها بالقراءة تنبيهاً على التزام أقوى أسباب السعادة، نزل قوله -عز وجل- في سورة المدثر: ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴾ [آية: ٤٩]. وفيها التعجب من أمر نفورهم دون مُسَوِّغٍ لهذا النفور.

والسؤال الآن: ما الذي يدعوك أيها المسلم للإعراض عن ذكر الله -تعالى-؟

أي شيء يحملك ألا تأتي مجالس العلم النافع فتتعلّم دين الله -تعالى- وتقرأ توجيهاته وإرشاداته؟

هل تنتظر أن تكون بعد هذه الدعوة في صفوف المجرمين الذين كان من مقالتهم: ﴿ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴾ [المدثر: ٤٥].

٢) التهديد بالعقاب المؤلم لمن أعرض عن ذكر الله، وعن مجالس العلم النافع:

ومعلوم أن الله -تعالى- بين عقاب من أعرض عن ذكره، فقال: ﴿ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴾ [الجن:١٧] أي: عذاباً مشقاً شديداً موجعاً مؤلماً.

٣) التهديد بالمعيشة الضنْك في الدنيا والآخرة:

وهدد بالمعيشة الضنْك بسبب الحرص على الدنيا والانصراف عن ذكر الله -تعالى-، فكلما كان المرء حريصاً على الدنيا الفانية كلما ازداد بخلاً، وبناء عليه يزيد همه وتضيق معيشته، ولا يمنع هذا أن تكون له معيشة أخرى ضنْك في البرزخ، ومعيشة ضنْك في الآخرة، لذا قال -تعالى-: ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾ [طه: ١٢١-١٢٥] ، فالله -تعالى- يحتج بما يصيب المرء من الضنك في الدنيا ليكون له العبرة فلا يتورط بمزيد من الإعراض عن ذكر الله فيأتي قبره، أو يأتي يوم القيامة محجوباً عنه الخير كله.

٤) جواب من لا يخشى الله، ويصر على الباطل معرضاً عن ذكر ربه:

وبعد هذا التهديد، اتضح بعد عرض حجة الله وبيانه أن الكفرة أصروا مختارين بمحض إرادتهم الباطل معرضين عن ذكر الله -تعالى-، وصرحوا بكل وقاحة: أن قلوبهم في أكِنّة، أي: غُلف مغطاة، وفي آذانهم وقر، أي: صمم، دل عليه قول الله -تعالى-: ﴿ حمٓ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ كِتَـٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَـٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَـٰمِلُونَ ﴾ [فصلت:١-٥].

٥) إمهال المعرض عن ذكر الله، المُصِرّ على الباطل، مع بيان أن الله -تعالى- غفور ذو رحمة:

وفي سورة الكهف أشعرهم الله -تعالى- بقرب إنزال العقاب فيهم، وأنه -تعالى- قادر على جواب دعائهم حين قالوا: (فاعمل إننا عاملون) وزاد في فضيحة صفاتهم فوصفهم بالجدال، والاستهزاء فقال: ﴿ وَمَا

مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوًا وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدًا وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن تَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴾ [الكهف:٥٥-٥٨].

٦) جهالة المعرض؛ مقدمات العقاب:

وحين ترك الكافر دعوة الله الحق التي جاء بها الأنبياء عامداً -عناداً منه وحسداً-، وأعرض عنها بعد إقامة الحجة وأصبح في جهالة، وانتفى عنه العلم لضلاله، فعاقبه الله بعقاب شديد بأنْ صرفه عن الهدى، لذا قال الله -تعالى-: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٤].

٧) المزيد من التذكرة؛ واحتج الله عليهم بالعمر قبل إنزال العقاب:

وبعد أن بين الله -تعالى- جهالة المعرضين عن توحيد العبادة، استجاش فيهم توحيد الربوبية الذي هم به مؤمنون، وذكرهم بِأَمَسِّ ما هم له محتاجون على مدار الليل والنهار، وذكر صفة الرحمة على المبالغة؛ إخباراً منه أنه بهم رحيم إن تابوا؛ فقال -عز وجل-: ﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا ۚ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ﴾ [الأنبياء:٤٢-٤٤].

٨) الدعوة إلى تدبر كلام الله -تعالى-؛ فالأمر جد خطير، فلا بد من حضور مجالس العلم، والإنصات لكلام الله -تعالى-، واتباع سنة المصطفى ﷺ:

وأرشد الله -تعالى- إلى أهمية تدبر كلامه، واتباع رسوله ﷺ، ونهى عن اتباع البدعة والهوى، فقال -عز وجل-: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُواْ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ أَمْ لَمْ يَعْرِفُواْ

رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌ ۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون:٦٩-٧١]؛ وليس من صفات المؤمنين الإعراض عن ذكر الله، ولا من صفاتهم ترك تدبر كلام الله -تعالى-، ولا من صفاتهم ترك الحق الذي نزل من الله أو قال به محمد ﷺ، ولا من صفاتهم الاقتداء بغير النبي المصطفى ﷺ، ولا من صفاتهم فعل البدع والمنكرات، ولا من صفاتهم اتباع الأهواء.

وللبحث بقية . . .

من صفات أهل الأهواء

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-:

«. . . وكلٌّ منهم يَرُدُّ على الآخر تأويلاتِه ويُبطلُها ويُحرِّمُها عليه، بل كثيرٌ منهم يُكفِّر الآخر ببعض تلك التأويلات، حتى إنّ التلميذَ منهم يُكفِّر أستاذَه!».

[«جامع المسائل» (٥/ ٧٢)]

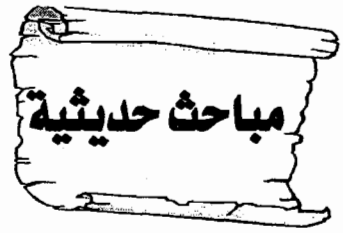

❖ الحلقة الرابعة والأخيرة

إعلامُ النَّبيهِ بتضعيف روايات: (وأبيك) أو (وأبيه)!

• بقلم: الوليد بن نبيه بن سيف النصر

التوجيه والجمع بين روايات النهي والجواز:

سلك أهل العلم مسالك شتَّى في الجمع بين روليات النهي عن الحلف بالآباء، والروايات الموهمة لجواز ذلك بوجوه من الجمع أو الترجيح؛ أذكر منها ما تيسر -بعون الله -تعالى-.

الوجه الأول:

أن هذه اللفظة كانت تجري على ألسنتهم من غير أن يقصدوا القسم، والنهي إنما ورد في حق من قصد الحلف، وإلى هذا جنح البيهقي، وقال النووي: إنه الجواب المرضيّ[1].

قلت: ليس بمرضي؛ وذلك أن الصحابة لم يفهموا مثل هذا الفهم، ولم يقولوا مثل هذا القول، وكفى بقول يخالف ما عليه السلف من الصحابة ومن بعدهم، كفى به خطأ!!

فقد تقدم الأثر عن عمر وغيره في بيان فهمهم لنصوص النهي عن الحلف بالآباء، وكيف طبّقوها، وعملوا بها؟

وعن عبد الله بن أبي مُلَيكة أنه سمع ابن الزبير يخبر أن عمر لما كان بالمخمص من عسفان، استبق الناس، فسبقهم عمر.

(١) «الفتح» (١١/ ٥٤٢).

فقال ابن الزبير: فانتهزت فسبقته.

فقلت: سبقته والكعبة.

ثم انتهز فسبقني، فقال: سبقته والله.

ثم انتهزت فسبقته، فقلت: سبقته والكعبة.

ثم انتهز الثالثة، فسبقني فقال: سبقته والله.

ثم أناخ فقال: «أرأيت حَلِفَك بالكعبة، والله لو أعلم أنك فكرت فيها قبل أن تحلف لعاقبتك، احلف بالله فَأْثَم أو ابْرُرْ»[1].

وفي رواية: قال ابن الزبير: سابقني عمر ابن الخطاب -رضي الله عنه- فسبقته، فقلت: سبقتك والكعبة، ثم سبقني فقال: سبقتك ورب الكعبة، فلما نزل أراد ضربي! وقال: أتحلف بالكعبة؟!![2].

قلت: ومما لا شك فيه أن هؤلاء الصحابة -رضي الله عنهم- لم يقصدوا تعظيم غير الله، ولا يُظن بهم غير ذلك.

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ معلقاً على كلام النووي السابق: «هذا جواب فاسد، بل أحاديث النهي عامة مطلقة ليس فيها تفريق بين من قصد وبين من لم يقصد، ويؤيد ذلك أن سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه- حلف مرة باللات والعزى، ويبعد أن يكون أراد حقيقة الحلف بها، ولكنه جرى على لسانه من غير قصد على ما كانوا يعتادونه قبل ذلك، ومع هذا نهاه النبي ﷺ.

غاية ما يقال -عمن جرى ذلك على لسانه من غير قصد-: معفوٌّ عنه، أما أن يكون ذلك أمراً جائزاً للمسلم أن يعتاده: فكلا.

وأيضاً؛ فهذا يحتاج إلى نقل ذلك، وأنه كان يجري على ألسنتهم من غير قصد للقسم، وأن النهي إنما ورد من قصد حقيقة الحلف، وأنى يوجد ذلك؟!»[3].

الوجه الثاني:

أنه كان يقع في كلامهم على وجهين: أحدهما: للتعظيم، والآخر: للتأكيد.

والنهي إنما وقع عن الأول؛ فمن أمثلة ما وقع في كلامهم للتأكيد لا للتعظيم قول الشاعر:

لعمر أبي الواشين إني أحبها

وقول الآخر:

فإن تك ليلى استودعتني أمانة

فلا وأبي أعدائها لا أذيعها

---

(١) إسناده صحيح: تقدم.

(٢) إسناده صحيح: رواه البيهقي في «سننه» (١٠/ ٢٩).

(٣) «تيسير العزيز الحميد» (ص ٥٩١).

فلا يُظن أن قائل ذلك قصد تعظيم والد أعدائها، كما لم يقصد الآخر تعظيم والد من وشى به.

فدل على أن القصد بذلك تأكيد الكلام، لا التعظيم.

«وقال البيضاوي: هذا اللفظ من جملة ما يزاد في الكلام لمجرد التقرير والتأكيد، ولا يراد به القسم، كما تزاد صيغة النداء لمجرد الاختصاص دون القصد إلى النداء.

وقد تُعُقِّب الجواب: بأن ظاهر سياق حديث عمر يدل على أنه كان يحلفه لأن في بعض طرقه أنه كان يقول: لا وأبي، لا وأبي، فقيل له: لا تحلفوا، فلولا أنه أتى بصيغة الحلف ما صادف النهي محلاً»[1].

وجواب آخر: قال الشيخ سُليْمان بن عبدالله آل الشيخ: «هذا فاسد، وكأن من قال ذلك لم يتصور ما قال، فهل يراد بالحلف إلا تأكيد المحلوف عليه بذكر من يعظمه الحالف و المحلوف له؟!

فتأكيد المحلوف عليه بذكر المحلوف به مستلزم لتعظيمه.

وأيضاً؛ فالأحاديث مطلقة ليس فيها تفريق.

وأيضاً؛ فهذا يحتاج إلى نقل أن ذلك جائز للتأكيد دون التعظيم وذلك معلوم» ا.هـ بتصرف يسير[2].

الوجه الثالث:

إن هذا كان جائزاً ثم نُسخ. قاله الماوردي، وحكاه البيهقي.

وقال أبو بكر ابن العربي: روي أنه ﷺ كان يحلف بأبيه حتى نهي عن ذلك[3].

«وقال المهلب: كانت العرب تحلف بآبائها وآلهتها فأراد الله نسخ ذلك من قلوبهم، لينسيهم ذكر كل شيء سواه ويُبقي ذكره، لأنه الحق المعبود فلا يكون اليمين إلا به، والحلف بالمخلوقات في حكم الحلف بالآباء»[4].

وقال ابن قدامة: «لو ثبت (أي: حديث الإباحة) فالظاهر أن النهي بعده؛ لأن عمر قد كان يحلف بها كما حلف بها النبي ﷺ، ثم نهي عن الحلف بها، ولم يَرِدْ بعد النهي إباحة، ولذلك قال عمر -وهو يروي الحديث بعد

(١) «الفتح» (١١/ ٥٤٣، ٥٤٢).

(٢) «تيسير العزيز الحميد» (ص ٥٩٢).

(٣) «الفتح» (١١/ ٥٤٣).

(٤) «الفتح» (١١/ ٥٤٤، ٥٤٣).

موت النبي ﷺ-: فما حلفت بها ذاكراً ولا آثراً[1]»[2].

وقال المنذري: «دعوى النسخ ضعيفة لإمكان الجمع، ولعدم تحقُّق التاريخ»[3].

قلت: ليس بضعيف، لأن النصوص اقتضت أن النهي ناقل عن الإباحة التي كانوا عليها قبل النهي، حيث إن الإباحة موافقة لاستصحاب البراءة الأصلية.

ولا يُمكن الجمع إلا بإبطال أحاديث النهي، أو التهاون بها، ثم إن الجمع الذي ذكروه لم يقل به أحد من السلف الأوائل، ففهمهم عندنا مقدم على فهم غيرهم.

هذا وقد صرح ابن عمر -رضي الله عنهما- أن النهي متأخر، فعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «من كان حالفاً، فلا يحلف إلا بالله».

وكانت قريش تحلف بآبائها، فقال: «لا تحلفوا بآبائكم»[4].

وقال ابن عمر: «لا وأبي»، إنها كانت يمين عمر، فنهاه ﷺ، كما سيأتي.

الوجه الرابع:

أن القَسَم الوارد في بعض النصوص، في جوابه حَذْفٌ تقديره: «أفلح ورب أبيه»، وهذا ما قاله البيهقي.

قلت: وهو بعيد؛ لأنه إخراج للألفاظ عن حقيقتها اللغوية، ولا سيما في أمر من أمور التوحيد -كهذا-.

والذي ينبغي في هذا المقام: إضمار ما يوهم الشرك، وإظهار التوحيد، أما أن يكون العكس، فهذا أمر غير مقبول.

ثم -على هذا- لا يمكن أن نحكم على قول بأنه مخالف لنص البتة، إذ إنها حجة لا يعدمها المشرك إذا أتى بشرك خالص، أن يقلبه إلى توحيد صرف، بتقدير محذوف!!

ثم إن النبي ﷺ، والصحابة أنكروا على من حلف بغير الله، ولم يقدّروا محذوفاً، رغم حرصهم على التماس العذر للخلق.

الوجه الخامس:

أن ما جاء من نصوص في ذلك كأحاديث: «وأبيك»، أو «وأبيه»، أن ذلك وقع من الشارع على سبيل التعجب، ويدل عليه: أنه لم يرد بلفظ: «أبي»، وإنما بالإضافة

---

(١) آثراً: أي: ناقلاً هذه اليمين عن أحد.

(٢) «المغني مع الشرح الكبير» (١١/ ١٦٤).

(٣) «الفتح» (١١/ ٥٤٣).

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (ح ٣٨٣٦)، (ح ٦٦٤٨)، ومسلم (١٦٤٦)، وابن حبان (الإحسان ١٠/ ٢٠٥ - ح ٤٣٦٢).

إلى ضمير المخاطب حاضراً أو غائباً، قاله السُّهيلي.

قلت: هو حلف قطعاً وليس على سبيل التعجب كما زعم قائل ذلك، فقد ورد عن سعد بن عبيدة، قال: كنت مع ابن عمر في حلقة فسمع رجلاً في حلقة أخرى وهو يقول: «لا وأبي»، فرماه ابن عمر بالحصى، وقال: إنها يمين عمر، فنهاه النبي ﷺ عنها، وقال: «إنها شرك»[1].

وعن عمر قال: كنت في ركب أسير في غزاة مع النبي ﷺ فحلفت، فقلت: «لا وأبي»، فنهرني رجل من خلفي وقال: «لا تحلفوا بآبائكم»، قال: فالتفتُّ، فإذا برسول الله ﷺ[2].

فأنت ترى في هذه الأحاديث وغيرها أن يمين عمر كانت «لا وأبي»، فليست للمخاطبة، وأن النبي ﷺ وعمر، وابنه اعتبروها يميناً، بل شركاً يجب فيه الإنكار.

الوجه السادس:

أن ذلك الحلف بالآباء خاص بالشارع دون أمته.

وَتُعُقِّبَ بأن الخصائص لا تثبت بالاحتمال، ولا تثبت إلا بدليل.

الوجه السابع:

أن ما ورد من أدلة تبيح الحلف بالآباء، إنما وردت لبيان الجواز، وإلا فالحلف بالآباء يكره كراهة تنزيه!!

وهذا قول مردود بلا شك، لأن ما سماه الشارع شركاً، وكفراً، وأنكره النبي ﷺ غاية الإنكار حتى نهر عمر على ملأ، وحصب ابن عمر الرجل الحالف بالكعبة، وأراد عمر أن يضرب ابن الزبير، ونهى كثير من سلف هذه الأمة عنه، لا يقال عنه -والحالة هذه-: إنه مكروه فقط!

وجوه الترجيح لروايات النهي:

ممَّا سبق يتبين أن نصوص المنع من الحلف بغير الله أرجح من بعض النصوص الموهمة لذلك؛ من وجوه عدّة: منها:

١- كون الروايات المبيحة غير ثابتة.

٢- كون روايات النهي مقدمة على روايات الإباحة.

٣- كون روايات الإباحة إن صحت فهي حكاية أفعال، بخلاف النهي فإنه قول وهو أعم في الدلالة للأمة، حيث يداخل الأفعالَ كثيرٌ من الاحتمالات كاحتمال الخصوصية،

(١) صحيح: رواه أحمد (٢/ ٦٠، ٥٨)، ومسلم (١٦٤٧).

(٢) صحيح لغيره: رواه أحمد (١/ ٣٢، ١٩)، وعبد الرزاق (ح ١٥٩٢)، ويشهد له أحاديث الباب.

وكاحتمال النسيان، أو أن الحلف بغير الله لا يُحدث في نفس الشارع ما يُحدث في نفس غيره -كما قاله بعضهم-.

٤- كون النبي ﷺ لم يستفسر عند النهي عن الحلف بالآباء، أقيل ذلك عن قصد أو غير قصد؟

٥- كون امتناع الإنكار واستحالة القيام به على من حلف بغير الله، لأن كل من أنكرت عليه سيقول لك: إني لم أقصد بحلفي تعظيم غير الله، وإنما هي كلمة جرت على لساني على عادة قومي!.

٦- لا يُظَنُّ بالصحابة والنبي ﷺ أنهم كانوا يعظِّمون غير الله -تعالى- كتعظيم الله -عز وجل-، فإن هذا هو الكفر -وحاشاهم من ذلك-.

٧- كون السلف لم يفهموا ما فهمه المتأخرون.

٨- لم يأت نص يدل على المعنى الذي ذكروه، ولو بالإشارة.

أنواع من الحلف بغير الله يستهين به الناس:

كثير من الناس -العامة، بل وبعض الخاصة- يقعون في مخالفة هذه النصوص، فنجدهم يحلفون؛ تارة بالآباء، أو الأمهات، أو الأمانة، أو الشرف، أو المنزلة، أو بعض الأنبياء، أو بعض الصحابة، أو النعمة، أو الصالحين، والأولياء، أو الكعبة، وكل هذا من الشرك الذي حذّر منه النبي ﷺ.

كفارة من حلف بغير الله:

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «من حلف منكم، فقال في حلفه: باللات والعزى، فليقل: لا إله إلا الله، ومن قال لصاحبه: تعال أقامرك، فليتصدق»(١).

وعن سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه- أنه قال: حلفت باللات والعزّى، فقال أصحابي: قلت هُجْراً، فأتيت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله: إن العهد كان قريباً، وحلفت باللات والعزّى، فقال رسول الله ﷺ: «قل: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، وانفث عن يسارك ثلاثاً، وتعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ولا تَعُدْ»(٢).

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (ح ٦٦٥٠)، ومسلم (١٦٤٧).

(٢) صحيح الإسناد: رواه النسائي (٣٧٧٦، ٣٧٧٧)، وابن ماجه (ح ٢٠٩٧)، وابن حبان (الإحسان ١٠/ ٢٠٦ - ح ٤٣٦٤)، وصحح إسناده الشيخان الألباني «صحيح النسائي» وابن باز «مجموع الفتاوى» (٢/ ٧٢٥).

وقد قال جمع من العلماء بوجوب كفارة الحلف بغير الله، وهي قول: «لا إلـه إلا الله »، وهو ظاهر الخبر[1].

الإنكار على من حلف بغير الله:

مما سبق يتبين ويتضح أن من رأيناه يحلف بغير الله، سواء كان ذلك الحلف بالآباء أو غيره، فإنه يجب الإنكار عليه -بالّتي هي أحسن للّتي هي أقوم-، لإنكار النبي ﷺ على عمر، وإنكار سائر الصحابة على من حلف بغير الله -كما في قصة سعد بن أبي وقاص المتقدمة، وقصة عمر مع ابن الزبير، وابن عمر، وأبي هريرة -وغير ذلك-.

ولا ينبغي أن يتعلَّل بعض الناس بأن المسألة خلافية، وللعلماء فيها آراء وأقوال كما هي عادة من أراد أن يتملّص ويتخلّص من الأوامر الشرعية -ممن لم يتأدب مع الله ورسوله-! وينبغي أن يضع نفسه في موقف عمر -رضي الله عنه- لما أنكر عليه النبي ﷺ، ماذا كان جوابه؟

قال: فوالله ما حلفت بها ذاكراً ولا آثراً منذ سمعت ذلك من رسول الله ﷺ.

فوالله وتالله وبالله؛ إن ذلك هو الأدب، والإسلام الحقيقي لله رب العالمين، سيما في أمر كهذا فيه شرك وكفر -عياذاً بالله-.

والخلاصة:

أن نصوص النهي عن الحلف بالآباء -وغيرهم-، هي الصحيحة المحكمة، والمتأخرة، وهي التي يجب أن يعمل بها.

وأما النصوص الموهمة لجواز ذلك فلا تصح رواية ولا دراية، وهي مع هذا موافقة للبراءة الأصلية، وأما النصوص الأخرى فهي ناقلة عن هذا الأصل، ولا يحل -والحالة هذه -بعد هذا البيان- أن يحلف أحد بغير الله، ولو كان لا يقصد الحلف بزعمه، لأن الحلف بغيره -تعالى- شرك، وله كفارة وهي أن يقول: «لا إله إلا الله»، وهذا الذي ذكرناه هو المروي عن سلف هذه الأمة، وأن كل قول خلاف هذا القول فهو محدث، لم يقل به السلف الأوائل من الصحابة والتابعين، وهو مع هذا منقوض ومضطرب وعائد على نصوص النهي بالرد والبطلان.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

(١) ينظر «فتح الباري» (١١/ ٥٤٥).

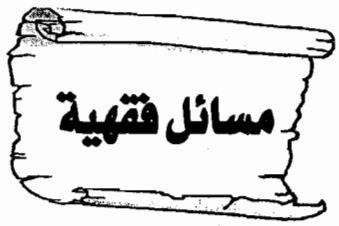

الحلقة الثانية والأخيرة

المـــال وأحكامُـــه

• بقلم: الشيخ أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان

*** الصحابة والمال:**

والذي يترجم ذلك كلَّه على وجه فيه وسط، دون وكس ولا شطط: الصحابةُ خصوصاً، والسلف الصالح عموماً، فإنهم -رضوان الله عليهم- كانوا حريصين على المال، ولهم فيه بتحصيله مِهَنٌ معروفة، كاسبين له من جهة كونه عوناً على شكر الله عليه، وعلى جهة اتخاذه مركباً للآخرة، وهم كانوا أزهد الناس فيه، وأورع الناس في كسبه.

فربما سمع أخبارهم في طلبه من يتوهم أنهم طالبون له من جهة ملذاته وشهواته فحسب، وهذا جهل بالاعتبار الذي طلبوه، وحاشاهم أن يطلبوه على علاته، إنما طلبوه من جملة عباداتهم -رضوان الله عليهم، وألحقنا بهم، وحشرنا معهم، ووفقنا لما وفقهم له بمنّه وكرمه-.

فلا نعرف أحداً اجتمع له مال كما اجتمع لرسول الله ﷺ، فكل ما سيق إليه جعله لأصحابه، وإقامة الدين، فكأني به -بأبي وأمي هُوَ ﷺ- مع كونه المتسبِّب يرى أن ما وصل ليده من محض الفضل، وأنه وكيل على تصريفه فقط، وليس له منه شيء، وهذه أعلى المراتب، وكان الواحد من أصحابه كالوكيل، يأخذ منه ما احتاج، وهو أقل مرتبة من هذا.

*** مراتب الناس في حظوظهم في المال:**

ولا شك أن الناس في أخذ حظوظهم على مراتب، وأن الأسوة لهم في ذلك الرسول ﷺ

وأصحابه، إذ كانوا يهضمون نفوسهم، ويطرحون حظوظها، بفضل قوة يقينهم بالله؛ لأنهم عالمون بصفاته، وبيده -سبحانه- ملكوت السموات والأرض، وهو حسيبهم لا يخيّبهم، فصارت الشهوة والنزوة والحظوة عندهم من قبيل ما قد ينسى، ويأنف الواحد منهم من الالتفات إليها على وجه ما قد يكون فيه فيها مزاحمة لحق الله -تعالى-، وهذه نماذج للتدليل على ذلك:

- صح عن عائشة -رضي الله عنها- أن ابن الزبير بعث لها بمال في غرارتين - قال المراوي: أراه ثمانين ومئة ألف-، فدعت بطبق وهي يومئذ صائمة، فجعلت تقسمه بين الناس، فأمست وما عندها من ذلك درهم، فلما أمست قالت: «يا جارية! هلُمّي أفطري»، فجاءتها بخبز وزيت. فقيل لها: أما استطعت فيما قسمت أن تشتري بدرهم لحماً تفطرين عليه؟ فقالت: لا تُعنِّفيني، لو كنتِ ذكرتِني لفعلت[1].

- وخرَّج مالك أن مسكيناً سأل عائشة وهي صائمة وليس في بيتها إلا رغيف؛ فقالت لمولاة لها: أعطيه إياه. فقالت: ليس لك ما تُفطرين عليه. فقالت: أعطيه إياه. قالت: ففعلتُ. قالت: فلما أمسينا أهدى لنا أهلُ بيت أو إنسانٌ -ما كان يُهدي لنا- شاةً وكَفَنَها[2]؛ فدعتني عائشة، فقالت: كُلي من هذا. هذا خير من قرْصِكِ[3].

- وروي عنها أنها قسمت سبعين ألفاً وهي ترقع ثوبها[4]، وباعت ما لها بمئة ألف وقسمته، ثم أفطرت على خبز الشعير[5]، وهذا يشبه الوالي على بعض المملكة؛ فلا يأخذ إلا

(١) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٨/ ٦٧)، والدارقطني في «المستجاد» (رقم ٣٦، ٣٧) -ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٦/ ق ٧٣٨)-، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ١٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٤٩، ٤٧)، والبغوي في «الجعديات» (١٦٧٣) بإسناد صحيح، بألفاظ مقاربة.

(٢) إن العرب- أو بعض وجوههم- كان هذا من طعامهم، يأتون إلى الشاة أو الخروف، فإذا سلخوه غطوه كلَّه بعجين دقيق البُرّ، وكفّنوه فيه، ثم علّقوه في التنّور، فلا يخرج من ودكِه شيء إلا في ذلك الكفن، وذلك من طيِّب الطعام عندهم، قاله ابن عبدالبر في «الاستذكار» (٢٧/ ٤٠٧).

(٣) أخرجه مالك في «الموطأ» (٢/ ٩٩٧ -رواية يحيى، ورقم ٢١٠٥- رواية أبي مصعب) بلاغاً عن عائشة.

(٤) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٤٧).

(٥) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٤٧-٤٨)، وفيه أيوب بن سويد، وهو ضعيف.

من المَلِك؛ لأنه قام له اليقين بقسْم الله وتدبيره مقام تدبيره لنفسه[1]، ولا اعتراض على هذا المقام بما تقدم؛ فإن صاحبه يرى تدبير الله له خيراً من تدبيره لنفسه، فإذا دبّر لنفسه، انحط عن رتبته إلى ما هو دونها.

- ومنهم من يَعُدّ نفسه كالوكيل على مال اليتيم[2]؛ إن استغنى استعفَّ، وإن احتاج أكل بالمعروف، وما عدا ذلك صرفه كما يصرف مال اليتيم في منافعه؛ فقد يكون في الحال غنياً عنه؛ فينفقه حيث يجب الإنفاق، ويمسكه حيث يجب الإمساك، وإن احتاج أخذ منه مقدار كفايته بحسب ما أذن له من غير إسراف ولا إقتار، وهذا -أيضاً- براءة من الحظوظ في ذلك الاكتساب؛ فإنه لو أخذ بحظه لحابى نفسه دون غيره، وهو لم يفعل، بل جعل نفسه كآحاد الخلق، فكأنه قسّام في الخلق يعدُّ نفسه واحداً منهم.

وفي «الصحيح» عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الأشعَرِيِّين إذا أرمَلوا في الغَزوِ أو قلَّ طعامُ عيالهم بالمدينة، جمعوا ما كان عندهم في ثوبٍ واحدٍ ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد؛ فهم منِّي وأنا منهم»[3].

---

(١) إنفاق الأموال في وجوه الخير عظيم، وهو عنوان الثقة بالله وتفويض الأمر إليه، وهذا ما كان السلف الصالح يفعله، وأما السعي في اكتساب الرزق من طرقه المشروعة؛ فهو ما يحث عليه الشرع ويستدعيه الاحتفاظ بعزة النفس وشرفها، ولا يحق للرجل أن ينكث يده من العمل وهو عليه، بدعوى أن تدبير الله له خير من تدبيره، ومن يفعل ذلك؛ فليس من الفضيلة في شيء، وليست هذه الدعوى إلا من مظاهر الكسل والإخلاد إلى الرضا مما تجود به أنعم العاملين؛ فترجع في الحقيقة إلى معنى أن تدبير الخلق له خير من تدبير نفسه.

(٢) أخرج ابن شبة في «تاريخ المدينة» (٢/ ٦٩٤-٦٩٥، ٧٠١)، وسعيد بن منصور في «السنن» (٤/ ١٥٣٨ رقم ٧٨٨ -ط. الصميعي)، ولابن أبي شيبة في «المصنف» (١٢/ ٣٢٤ رقم ١٢٩٦٠)، وابن جرير في «التفسير» (٧/ ٥٨٢ رقم ٨٥٩٧)، ولابن سعد في «الطبقات» (٣/ ٢٧٦)، والنحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص ١١٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦/ ٤-٥، ٣٥٤)، وابن الجوزي في «مناقب عمر» (ص ١٠٥) من طرق عن عمر؛ قال: «إني أنزلتُ نفسي من مال الله منزلة والي مال اليتيم، إن استغنيتُ استعففت، وإن افتقرتُ أكلتُ بالمعروف، ثم قضيتُ»، وهو صحيح بمجموع طرقه -إن شاء الله -تعالى-. وفي رواية أنه قال ذلك لعمار وابن مسعود -رضي الله عنهم- حين ولاهما أعمال الكوفة، وفيها: «إني وإياكم في مال الله...» وذكر نحوه.

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» في كتاب الأشعريين (باب الشركة في الطعام والنَّهد والعروض) (٥/ ١٢٨ رقم ٢٤٨٣)، ومسلم في «صحيحه» في كتاب فضائل الصحابة (باب من فضائل الأشعريين -رضي الله عنهم-) (٤/ ١٩٤٤-

وفي حديث المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار هذا[1].

وقد كان -عليه الصلاة والسلام- يفعل في مغازيه مِن هذا ما هو مشهور[2].

فالإيثار بالحظوظ محمود غير مضاد لقوله -عليه الصلاة والسلام-: «ابدأ بنفسكَ ثم بمن تعُولُ»[3]، بل يحمل على الاستقامة في حالتين.

فهؤلاء والذين قبلهم لم يقيدوا أنفسهم بالحظوظ العاجلة، وما أخذوا لأنفسهم لا يعد سعياً في الحظ؛ إذ للقصد إليه أثر ظاهر، وهو أن يؤثر الإنسان نفسه على غيره، ولم

١٩٤٥ رقم ٢٥٠٠) من حديث أبي موسى الأشعري -رضي الله عنه-.

(١) أخرج البخاري في «صحيحه» في كتاب مناقب الأنصار (باب إخاء النبي ﷺ المهاجرين والأنصار) (رقم ٣٧٨٢) من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: «قالت الأنصار: اقسم بيننا وبينهم النخيل. قال: لا. قال: يكفوننا المئونة، ويشركوننا في الثمر. قالوا: سمعنا وأطعنا».

وأخرج البخاري في «صحيحه» (رقم ٣٧٨١)، في الكتاب والباب السابقين، وفي (باب كيف آخى النبي ﷺ بين أصحابه) من الكتاب نفسه (رقم ٣٩٣٧)، ومسلم في «صحيحه» في كتاب النكاح (باب الصداق وجواز كونه تعليم قرآن...) (رقم ١٤٢٧)، وغيرهما من حديث أنس؛ قال: «قدم عبدالرحمن بن عوف فآخى النبي ﷺ بينه وبين سعد ابن الربيع الأنصاري، فعرض عليه أن يناصفه أهله وماله، فقال عبدالرحمن: بارك الله لك في أهلك ومالك، دلني على السوق؛ فربح شيئاً من أقِط وسمن... ».

(٢) قلت: أكتفي هنا بذكر مثالٍ واحدٍ وقع في غزوة تبوك؛ فقد أخرج مسلم في «صحيحه» في كتاب الإيمان (باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً) (١/ ٥٥- ٥٦ رقم ٢٧) بسنده إلى أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: كنا مع النبي ﷺ في سير، قال: فنفدت أزواد القوم، قال: حتى همّ بنحر بعض حمائلهم، قال: فقال عمر: يا رسول الله! لو جمعت ما بقي من أزواد القوم فدعوت الله عليها، قال: ففعل، فجاء ذو البُرِّ ببُرِّه، وذو التمر بتمره. قال: وقال مجاهد: وذو النواة بنواه. قلت: وما كانوا يصنعون بالنوى؟ قال: كانوا يمصونه ويشربون عليه الماء، قال: فدعا عليها. قلت: حتى ملأ القوم أزودتهم، قال: فقال عند ذلك: «أشهد أن لا إله إلا الله، لا يلقى بهما عبد غير شاك فيهما إلا دخل الجنة».

وأخرجه أحمد في «مسنده» (٣/ ١١)، وقد تكلم بعضهم في صحة هذا الحديث بكلامٍ متعقب. انظر: «شرح النووي على صحيح مسلم» (١/ ٢٢١- ٢٢٣).

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» في كتاب الزكاة (باب لا صدقة إلا عن ظهر غنى) (٤/ ٢٩٤ رقم ١٤٢٧)، ومسلم في «صحيحه» في كتاب الزكاة (باب بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلى) (٢/ ٧١٧ رقم ١٠٣٤) عن حكيم بن حزام، رفعه.

يفعل هنا ذلك، بل آثر غيره على نفسه، أو سوَّى نفسه مع غيره، وإذا ثبت ذلك كان هؤلاء بُرءاء من الحظوظ، كأنهم عدُّوا أنفسهم بمنزلة من لم يجعل له حظ، وتجدهم في الإجارات والتجارات لا يأخذون إلا بأقل ما يكون من الربح والأجرة، حتى يكون ما حاول أحدهم من ذلك كسباً لغيره لا له، ولذلك بالغوا في النصيحة فوق ما يلزمهم؛ لأنهم كانوا وكلاء للناس لا لأنفسهم؛ فأين الحظ هنا؟

بل كانوا يرون المحاباة لأنفسهم وإن جازت كالغش لغيرهم؛ فلا شك أن هؤلاء لاحقون حكماً بالقسم الأول، بإلزامهم أنفسهم، لا باللزوم الشرعي الواجب ابتداءً.

- ومنهم من لم يبلغ مبلغ هؤلاء، بل أخذوا ما أذن لهم فيه من حيث الإذن، وامتنعوا مما مُنعوا منه، واقتصروا على الإنفاق في كل ما لهم إليه حاجة؛ فمثل هؤلاء -بالاعتبار المتقدم- أهل حظوظ، لكن مأخوذة من حيث يصح أخذها.

فإن قيل في مثل هذا: إنه تجرُّدٌ عن الحظ؛ فإنما يقال من جهة أنهم لم يأخذوها بمجرد أهوائهم تحرزاً ممن يأخذها غير ملاحظ للأمر والنهي، وهذا هو الحظ المذموم، إذ لم يقف دون ما حُدَّ له، بل تجرأ كالبهيمة لا تعرف غير المشي في شهواتها!

ولا كلام في هذا، وإنما الكلام في الأول، وهو لم يتصرف إلا لنفسه؛ فلا يجعل في حكم الوالي على المصالح العامة للمسلمين، بل هو وال على مصلحة نفسه، وهو من هذا الوجه ليس بوال عام، والولاية العامة هي المبرأة من الحظوظ.

فالصواب -والله أعلم-: أن أهل هذا القسم معاملون حكماً بما قصدوا من استيفاء الحظوظ؛ فيجوز لهم ذلك بخلاف القسمين الأولين، وهما من لا يأخذ بتسبب أو يأخذ به، لكن على نسبة القسمة ونحوها.

*** أهمية التفصيل في التفضيل وثمرته:**

تأمل هذا الفصل؛ فإن فيه رفع شبه كثيرة ترد على الناظر في الشريعة وفي أحوال أهلها، وفيه رفع مغالط تعترض للسالكين في طريق الآخرة؛ فيفهمون الزهد وترك الدنيا على غير وجهه؛ كما يفهمون طلبها على غير وجهه؛ فَيَمدحون ما لا يمدح شرعاً، ويَذُمون ما لا يذم شرعاً.

وفيه -أيضاً- من الفوائد: فصل القضية بين المختلفين في مسألة الفقر والغنى، وأن ليس الفقر أفضل من الغنى بإطلاق، ولا

الغنى أفضل بإطلاق، بل الأمر في ذلك يتفصل[1]؛ فإن الغنى إذا أمال إلى إيثار العاجلة كان بالنسبة إلى صاحبه مذموماً، وكان الفقر أفضل منه، وإن أمال إلى إيثار الآجلة؛ بإنفاقه في وجهه، والاستعانة به على التزود للمعاد؛ فهو أفضل من الفقر.

وانظر في «المفاضلة بين الفقر والغنى»: «قواعد الأحكام» للعز بن عبد السلام (٢/ ٣٦٢-٣٦٥)، «فتاوى ابن الصلاح» (ص ٤٧-٥٠، ٥٢)، «تفسير القرطبي» (٣/ ٣٢٩ و٥/ ٣٤٣ و١٤/ ٣٠٦ و١٥/ ٢١٦ و١٩/ ٢١٣)، و«عدة الصابرين» (ص ١٩٣-١٩٥، ٢٠٣-٢٠٤، ٢٠٨-٢٠٩، ٢١٧، ٢٨٤، ٣١٣-٣١٤، ٣١٧-٣٢٢)، «مجموع فتاوى ابن تيمية» (١١/ ٢١، ٦٩، ١١٩-١٢١، ١٩٥ و١٤/ ٣٠٥-٣٠٦)، «الفتاوى الحديثية» (ص ٤٤-٤٥)، ورسالة محمد البيركلي (ت ٩٨١هـ) «المفاضلة بين الغني الشاكر والفقير الصابر»، وهي مطبوعة عن دار ابن حزم - ببيروت، سنة ١٤١٤هـ، في (٦٤) صفحة.

والله الموفق بفضله.

(١) هذا الذي قرره السّخاوي في رسالته «السر المكتوم»، -المطبوعة بتحقيقي-.

❊الدِّين النَّصيحة❊

قال فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين -رحمه الله-:

«والواجب علينا ولاسيَّما على طلبة العلم إذا اختلفوا فيما بينهم أنْ يجلسوا للتشاور، وللمناقشة الهادئة التي يُقصد منها الوصول إلى الحق، ومتى تبيّن الحقّ للإنسان وَجَبَ عليه اتباعه، ولا يجوز أنْ ينتصر لرأيه؛ لأنه ليس مشرِّعاً معصوماً حتى يقول إن رأيه هو الصواب، وأن ما عداه هو الخطأ.

والواجب على الإنسان المؤمن أن يكون كما أراد الله منه: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾. [الأحزاب:٣٦]

أمّا أن يكون الإنسان ينتصر لرأيه، ويُصرُّ على ما هو عليه، ولو تبيّن أنه باطل فهذا خطأ، وهذا من دأب المشركين الذين أبوا أن يتبعوا الرسول».

[«تفسير جزء عمّ»] (ص٣٢٤)]

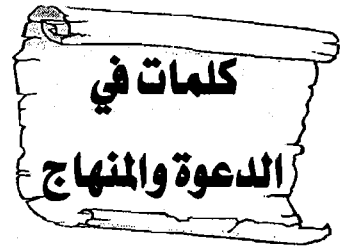

تَحذير السَّلَف مِن تَمييع الخَلَف

● بقلم: الشيخ سمير المبحوح

الدعوة السلفيّة هي دعوة الحق التي يجب أن يلتقي عليها المسلمون، والتي لا يصلُح آخر هذه الأمَّة إلا بها، والانتساب إليها انتسابٌ للنبي ﷺ، ولكن هذا الانتساب لا بدَّ أن يكون قولاً، وفهماً، وعملاً، وعقيدة، ومنهجاً، وسلوكاً، وأخلاقاً، وأن يكون المنتسب داعياً من دعاتها، وطالباً من طلابها، مظهراً لدعوته ومنهجه بكل فخر واعتزاز.

قال - تعالى -: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف:١٠٨]، وقال ﷺ: «خير الناس قرني ثمَّ الذين يلونهم، ثمَّ الذين يلونهم، ثمَّ يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته» [متفق عليه].

فإذا كانت السَّلفيَّة هي سبيل النبي ﷺ؛ فيجب على كل مسلم أن يكون متبعاً لهذا السبيل.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: «ولا عيب على من أظهر مذهب السّلف وانتسب إليه، واعتزى إليه، بل يَجب قبول ذلك منه بالاتفاق، فإنَّ مذهب السلف لا يكون إلا حقاً».

وهذا الحق لا يتحقق -حقيقة- إلا بتحقُّق العقيدة والمنهج على أرض الواقع، بدون تَمييع وخواطر؛ فلا صداقة مع الذين يُحاربون هذا المنهج، فلا يكون سلفيّاً من تُشتم وتُسب السلفيّة ودعاتها أمامه ولا يُحرك ساكناً، حفاظاً على الصداقة والزمالة والمصلحة -زعموا-، ولا يُظهر سلفيَّته إلا عند السلفيين كسباً لمودتهم ومحبتهم، أما عند غيرهم من أهل الأهواء والبدع فيُظهر لهم عودته، ومحبته؛ كسباً لرضاهم، وتحقيقاً لمصلحته الشخصيَّة!

قال الشيخ ربيع بن هادي المدخلي -حفظه الله-: «فلا تتحقَّق السلفيّة والسُّنيَّة

في أحد حتى يُفارق أهل البدع والتحزب قلباً وقالباً، ويلتزم بما كان عليه السّلف الصّالح ظاهراً وباطناً، عقيدة ومنهجاً، قولاً وعملاً، عبادة وأخلاقاً، معاملةً وسياسة ».

فمن تنكب هذا المنهج السّلفي فهو في طريق غير طريق السّلف، فالتمييع وعدم التمايز أضرَّ بالدعوة السّلفيّة.

وسئل الشيخ مقبل الوادعي -رحمه الله-: ما سر نجاح دعوة أهل السنّة في بلاد اليمن؟ فقال: «بالتمايز ».

وفي هذا يقول ابن عباس -رضي الله عنهما-: «لا تُجالس أهل الأهواء فإنَّ مجالستهم ممرضة للقلوب ».

وعن أبي قلابة قال: «لا تُجالسوا أهل الأهواء ولا تُجادلوهم، فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم، أو يلبسوا عليكم ما تعرفون».

حقاً؛ كل من خالطهم وجالسهم تأثر بهم، ثمّ أخذ يُدافع عنهم بعدما كان يُحذِّر منهم؛ إنها الدنيا من وظيفة ومال وتكميل دراسة!!

ألا فليتق الله أقوامٌ يدَّعون السلفيّة! ويخذلون أهلها والذَّابين عنها بحق وعلم!! ويُدافعون عن أهل الأهواء والبدع؛ بحجّة الصّداقة والزمالة والمصلحة، فهؤلاء الذين يتسترَّون بالسّلفيّة -مهما طال الزمن- فلا بدَّ أن ينكشف حالهم.

قال الأوزاعي -رحمه الله-: «من ستر علينا بدعته لم تخفَ علينا أُلفته».

وقال محمد بن عبيد الغلابي: «يتكاتم أهل الأهواء كلَّ شيء إلا التآلف والصحبة».

وقال الفُضيل بن عِيَاض -رحمه الله-: «الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف، ولا يمكن أن يكون صاحب سنّة يُمالئ صاحب بدعة إلا من النفاق».

قال ابن بطة -معلقاً على قول الفُضيل-: «صدق الفضيل -رحمه الله- فإنَّا نرى ذلك عياناً».

ولمَّا قدم سفيان الثوري البصرة، جعل ينظر إلى أمر الربيع -يعني ابن صبيح- وقدره عند الناس، سأل أيّ شيء مذهبه؟

قالوا: ما مذهبه إلا السنَّة. قال: من بطانته؟ قالوا: أهل القدر. قال: هو قدري.

وكان السَّلف الصّالح -رضي الله عنهم ورحمهم- إذا رأوا الشاب في أوَّل أمره مع أهل السنّة رجوه، وإن رأوه مع أهل البدع في ممشاه ومجلسه وصحبته أيسوا من خيره، ولم يرجوه.

فالواجب على المسلم أن يَحترم دينه وعقله، ويتمايز بمنهجه ودعوته عن الآخرين، ولا يُرضي الناس على حساب دينه، وليطلب الحق، وليدرس الأمور، فأهل السنّة أنصح الناس للناس.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين.

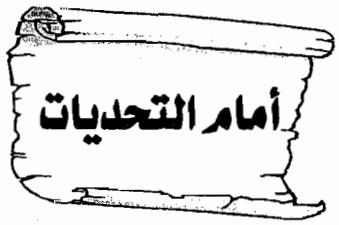

الحلقة الثانية والأخيرة

المجتمع الإسلامي المعاصر والتحدي الحضاري

• بقلم: الشيخ أبي أسامة سليم بن عيد الهلالي

ذلك لأننا بحاجة إلى واقعين:

- قاعدة بناء.

- ومنطلق مسيرة.

هما في الواقع أصالة وتفتُّح وبدون واحد منهما نخسر المعركة الحضارية.

والاستلهام من الدين الصحيح يشكّل القاعدة والمنطلق والأصالة، والتفتح على الحياة يشكّل المسير والتفاعل.

فنحن إذاً -بحاجة- إلى تأصل وتفتُّح ولا بد أن نحققهما عبر ثلاث مراحل:

١- مرحلة التأصيل، وفيها نحاول استيعاب الفكرة الحضارية التي تتمثل في الدين الإسلامي المصفى إيماناً وعلماً.

٢- مرحلة البعث، وفيها نشعر بالتخلف، ونستيقظ من سباتنا العميق، ونريد أن نحيى.

٣- مرحلة التفتح، وفيها نحاول الاستفادة من معطيات العلم الحديث الصالحة.

إن هذا هو الخط الواضح القويم الذي لا يمكننا أن ننجح دون الالتزام به، والوفاء بمتطلباته.

إن أسس الحل واحدة، وتتمثل في العودة الصحيحة إلى المنبع الصافي، بمراجعة الواقع الذاتي، ونبذ البدع والشوائب التي أصابت المسلمين بسبب جهلهم وقصورهم.

أو برفض الآخر الذي يعمل على غرس جرثومة الانحلال، والفتنة، والضعف، والتفكيك في الجسم الإسلامي.

أو محاولة التوفيق بين الواقع والآخر؛ وذلك بتعديل الآتي من الخارج، والتكيُّف معه، دون التخلي عن الأصول.

بيد أن هناك عقبات تعترض الطريق، وبمدى قدرتنا على تحديها تكون جدارتنا بحماية حضارتنا التليدة، وبناء الحضارة الجديدة.

إن العوامل الداخلية في العالم الإسلامي التي تكيد للإسلام كيداً لهي أشد وأنكى من

الآتية من الخارج، لأن القادم الخارجي مهما كانت عداوته؛ فهو شيء متوقع، ومن الممكن تفاديه بالسياسة، أو المهادنة، أو الانحناء أمام العاصفة، أو أساليب الحرب الباردة.

أما الداخلية؛ فهي نار هشيم يتسع اشتعالها كلما رُمْتَ إطفاءها، فهي توقد فتناً، وتفرقنا إلى شيع، كل حزب بما لديهم فرحون، وهي: الغلو، والتطرف، والنزعات الإقليمية، والنزغات الحزبية.

وهي التي تريد بالمسيرة الانحراف عن خطها المستقيم، فبعضها يحاول تجميدنا على الأوضاع الفاسدة، وآخر يريد تمييعنا في بوتقة الحضارات المعاصرة.

والذي لا ريب فيه: أن الغلو و التطرف بعيد عن روح الإسلام بُعْدَ المشرقين؛ ذلك لأن الإسلام عقيدة شاملة أصيلة مُتَباينةٌ كلياً مع فلسفات الإغريق والبراهمة -الوثنية المشركة-، ولكن الإسلام منفتح -كلياً- على معطيات العقل والعلم -التي لا تُخالف أحكامه- ولا يرضى التقوقع ضمن توابيت القديم الجاهلي المناقض للإسلام العظيم.

والتمييع هو الآخر عقبة كأداء، يشكلها الانهزاميون الذين مَنَحَتْهُم التيارات الغربية الشعور بأنفسهم، فراحوا ينظرون إلى واقعهم وكيانهم بعيون مستعارة، فلا يرون إلا مصالح الآخرين! فهم يريدون أن نرفض كل أصيل، لأنه -في زعمهم- السبب المباشر لتخلفنا.

والذي يسترعي النظر -بشدّة-: أنه كلما اشتد الاحتكاك الغربي بالمسلمين زاد الصراع، واشتدت حدة التطرف والغلو والعنف والإرهاب؛ فالغرب هو مؤجج حركات الغلو والتطرف والإرهاب، ومحتضنها في عقر داره، والساعي بالنميمة السياسية.

وعليه؛ فإن وصف الإسلام بالتطرف والإرهاب بدعة أطلقها الغرب، وأكذوبة روج لها يهود للحدّ من نشاط المسلمين في الدفاع عن الدين والعِرض والأرض؛ فهو -في الحقيقة- عملية إسقاط؛ لأن حياة الغرب قائمة على العنف، والتطرف، والإرهاب، ولا زال الاضطهاد والقتل والتدمير قائماً، وذلك على مسمع الدنيا وبصرها، لا يرقب في مسلم إلّا ولا ذمة، وإن كانوا يُرْضُون المسلمين بأقوالهم ووعودهم بالتحرير والتنمية والديمقراطية، وما يعدهم الشيطان إلا غروراً.

ولذلك؛ فالأصولية زَعْمٌ أُلحق بالمسلمين؛ لتجريم العالم الإسلامي،

وبخاصة الدول والجماعات التي استعصت على الغرب أن يجرها في فلكه.

لأن الأصولية يعني بها: التجريم، والإرهاب، والوحشية، والدموية، ومجازفة التحضر والتمدن، وفق معناها الكنسي عندما كان الغرب يسبح في عصر الظلمات!!

وكثير من المسلمين ظلوا بين الطرفين كالشاة العائرة بين الصفين، لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً، ذلك لأن المنحرفين راحوا يشككون في قدرة الإسلام أن يبني حضارة المسلمين الحديثة الأصيلة.

وبما أن الدين لا يزال يتمتع بقاعدة شعبية واسعة وراسخة، فإن المنحرفين عنه لم يقدروا على الهجوم على صلاحية الإسلام أو إمكانية المسلمين للقيام ببناء حضارة حديثة، بل راحوا ينافقون -كل حسب اتجاهه المتطرف- أيما نفاق.

فبعضهم حاولوا أن يحصروا الدين عند الناس في حدود معينة من السلوك الفردي، وبعض النظم الاجتماعية، أما في المناهج العلمية والقواعد الخلقية؛ فلا بد أن يصبح تابعاً متواضعاً للفلسفة التي يختارونها، كل حسب هواه.

أما النصوص الشرعية المخالفة لهم في نسبتهم هذه؛ فكانت في أيديهم ألين من الحديد بين أصابع داود -عليه السلام-، حيث أخذوا يؤوِّلون فيها ويحرفون ويفترون على الله الكذب، وهم هادئون مطمئنون.

وفي الطرف المعاكس تماماً كان الانهزاميون يقومون بدور مماثل، ولكن من منطلق مختلف، إذ كانوا يحاولون تجريد الإسلام من روحه الناصعة، ومبادئه الفطرية الصائبة، وتمييع أحكامه المحددة، وتوجيه نصوصه وفق فلسفات الغرب الحديثة، ناسين أو متناسين كل ما في هذه الأخيرة من سلبيات وتناقضات.

وقد بلغ الجهد ببعضهم حداً دعا المسلمين إلى تبني فكرة مناهضة للإسلام تماماً، وباسم الإسلام ذاته، وقالوا: لا يعدو الإسلام أن يكون انتماء قومياً، أو قبلياً، أو عائلياً، فهو ينسجم -أو لا بد أن نجعله ينسجم!- مع كل جديد يقتضيه اتجاه المدنية الحديثة.

ولم يعلموا أنهم بعملهم هذا انتزعوا عن الإسلام أهم ما فيه، وهي الروح المبدعة الخلاقة.

وضاعت الأمة الإسلامية المرتقبة، والحضارة الإسلامية المأمولة، على مفترق الطرق، واحتارت في زحمة الاتجاهات المتطرفة.

وأصبح الإسلام كلمة مطاطة كأنها ضباب السواحل تشمل جميع المتناقضات، وليس أبداً ذلك الدين الواحد الذي جاء به رسول واحد من رب واحد، لتكوين أمة واحدة، بل صار ألف دين

وألف مذهب وألف أمة وألف ملة... وكانت هذه عقبة تعترض مسيرة المسلمين الحضارية وكان لا بد لنا من تحديها بأمرين:

١- تجريد الإسلام من الفلسفات الجاهلية التي نسبها المنحرفون إلى الدين حتى يعود الدين كما أنزله الله -سبحانه- على رسول الله ﷺ عقيدة صافية وفكرة رائعة تحمل نفسها على كتف الحياة، وتنسجم وتتفاعل معها، ولا يمكن ذلك دون العودة إلى ذات النصوص الشرعية، ومحاولة التسليم لها، والتفتح عليها، دون التأويل لها، والتحريف لكلماتها.

إن الإسلام بنى الحياة المادية على أفضل ما تكون، وفتح أبواب الأمل؛ ليصل الإنسان إلى كماله المهيأ له، ولكن ليس على حساب الآخرين كما يفعل الغرب المادي، ومع الجانب المادي يسعى الإسلام إلى بناء الكيان الروحي والعقلي والأخلاقي في الإنسان؛ لأن المادة جزء من حياة الإنسان، وأما الجزء الآخر؛ فهو الروح، والعقل، والأخلاق.

قال -تعالى-: ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة:٢٠١].

عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال ﷺ: «إنما بعثت؛ لأتمم مكارم الأخلاق»(١).

ويروى عن عيسى -عليه السلام- قوله: ليس بالخبز وحده يحيى الإنسان.

فالأخلاق والعلم جناحان يحلّق بهما الإنسان في سماوات الإجادة والإفادة.

٢- تجريد الحضارة الحديثة مما شابهها من سلبيات الإنسان الأوروبي، ونظراته الضيقة المحدودة، وذلك بدراستها في ضوء وهدى القرآن والسنة، ومنهج خير القرون، دون تقليد منا لها أو انغلاق عنها.

لأن الانعزال والتقوقع على التراث في عالم اليوم -الذي تحول إلى (غرفة) صغيرة بحكم التطور التقني الهائل، في تكنولوجيا الاتصال- أمر مستحيل كما أن الانسياق وراء الدعوة إلى حضارة عالمية واحدة -بحد ذاته- انتصار للمدنية الغربية الكاسحة، وهو طريق التبعية الحضارية التي تفقد المسلمين خصوصيتهم الحضارية، ويحولهم إلى مجرد هامش لمدينة الغرب.

إن المشروع الحضاري الإسلامي فعل حضاري مركب لا يجتر ماضياً فارغاً، ولا يحاكي راهناً واهناً، فعل يبدع ذاته من أصل

(١) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد»، وأحمد، والحاكم وغيرهم وهو صحيح.

ذاته (الأصيل)؛ الذي هو الأصل الذي أبدع نماذجه في التاريخ الماضي، القادر على أن يبدع نماذج جديدة في الحاضر والمستقبل.

وعلينا بعد ذلك الاعتماد على أصالتنا الرسالية وأن نتخذ من سيرة نبينا محمد ﷺ قوة مناعية في بناء حضارة قوية وسليمة.

نريد جيلاً يحاول التعرف إلى تاريخه وماضيه، وينفتح على تراثه الإسلامي الصافي الأصلي، ويستلهم منه مشعلاً لطريقه ورؤيته للمستقبل.

لقد حمل المسلمون الأوائل قيم الإسلام العليا ومُثُلَهُ السامية، وأخذوا في نشرها وتعميقها في كل أرجاء الدنيا، وبدأت عملية التفاعل بينها وبين الحضارات السابقة.

ومع مرور الزمن وانصرام القرون نتجت حضارة إسلامية كونية، أسهم في تكوينها المكونات الصالحة من الحضارات السابقة، فاغتنت الحضارة الإسلامية بكل ذلك عن طريق التفاعل، وكانت هي بدورها فيما بعد عندما استيقظ الغرب من سباته وأخذ يستعد مكوناً حضارياً ذا بال، أَمَدَّ المدنية الغربية بما تزخر به اليوم من علوم وعطاء مادي متنوع.

ولذلك كله؛ فإنه وفي عصر التحدي الحضاري ودوامة التحامل على الإسلام الذي صوب سهامه ضد ثوابت الأمة وقيمها وبلادها، تتعاظم الحاجة إلى مشروع إسلامي حضاري، تقويماً للمسيرة وتصحيحاً للرؤى، وتنسيقاً للجهود والمواقف، وإعلاء لمنظومة المُثُل والقيم، وإشاعة للود والتسامح والتراحم، وبثاً لروح التعاون والتصافي والتفاهم، وبالتالي ارتقاءاً بالإنسانية وإسعاداً للبشرية.

ملامحه: أنه رباني عالمي وسطي سلفي أخلاقي إنساني حضاري إيجابي شمولي واقعي، ترتبط الأصالة فيه بالمعاصرة، يلتزم المصداقية بلا تضخيم، والواقعية بلا انهزامية، والشفافية بلا تهريج، الإنصاف رائده، والعدل حاديه، والتسامح أسلوبه وقالبه، يعمل على حشد الطاقات في الأمة لا على تبديدها، يسلك مسالك الإخلاص للخالق، والرفق والرحمة بالمخلوقين، يتسم بالعقل والتسامح والحكمة، ويحاذر الصلف والعنف والتهور والشطط، وبذلك تحقق أمتنا الريادة الحضارية، وتستعيد أمجادها التاريخية، وتتخلص من أزماتها الخانقة، وتصلح أوضاعها المتردية - بإذن الله-.

وتتمثل مراقي هذا المشروع الحضاري الإسلامي فيما يأتي:

١- إن البديل لصدام الحضارات هو تفاعلها، وحوارها بما يعود على الإنسانية جمعاء بالخير والسعادة، فالتفاعل عملية صراع؛ لكن موجهة للبناء، والاستجابة الحضارية لتحديات الواقع الراهن.

لقد اكتوى العالم بلظى حروب كونية مدمرة، ولذلك لا يستطيع أن يحتمل حروباً أخرى، لذلك لا بد من ترسيخ مبدأ الحوار بالتي هي أحسن للتي هي أقوم.

٢- إن أولى الخطوات ونقطة الانطلاق هي البدء بالذات، وفهمها، ومحاسبة النفس، والوقوف طويلاً للمراجعات: تصحيحاً في المعتقد، وسمواً في الخلق والسجايا، وسلامة في الاتباع، ومحاذرة مِن الابتداع، ومعالجة لجوانب النقص التي دخلت على الأمة في عقيدتها ومنهجها، وأن تلتزم الأمة نور للوحيين: الكتاب والسنة ومنهج القرون المفضلة، كما قال ﷺ: «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»[1].

يجب أن نتعرف إلى واقعنا كما هو بالفعل دون رهبة أو خجل، ومن دون تهوين أو تهويل . . . إنها فرصة للحوار مع الذات فهي البنية التحتية للحوار مع الآخرين.

٣- محاولة فهم الآخر والتعرف إليه، وهو -هنا- الغرب وحضارته للاستفادة من معطياتها النافعة، دون ذوبان فيها، أو تميع لديننا ومنهجنا.

٤- نشر الإسلام في العالم المادي؛ لتلقيح حضارته بالمبادئ الأخلاقية؛ وذلك لتحصين الحضارة الإنسانية من الشر، والفساد، وهدم القيم الفاضلة في الإنسان.

ولأن الإسلام -بحمد الله- يملك الطاقات الروحية الأخلاقية لإخراج الحضارة المادية من مأزقها، وتحويلها إلى حضارة إنسانية يشارك فيها الجميع.

٥- مناشدة المسلمين -حكومات وشعوباً وهيئات وعلماء- للنهوض إلى العمل الجاد، من أجل توحيد كلمتهم، وتحقيق الوحدة الإسلامية؛ التي هي فريضة شرعية، وضرورة بشرية، تمليها تعاليم ديننا الحنيف، كما أنها مطلب حتمي تمليه ظروف التغيرات العالمية المعاصرة.

إن الوحدة بين الشعوب الإسلامية كسب كبير للأمة الإسلامية، فالعالم اليوم يتجه نحو التكتلات الكبيرة مثل الاتحاد الأوروبي.

٦- التركيز على التجمُّعات الطلابية الإسلامية؛ ليعود الشباب المسلم -الذين تأويهم هذه التجمُّعات- أنداداً حضاريين يستوعبون إيجابيات الحضارة الغربية بوعي تام، ويرتكزون على ثوابت الحضارة الإسلامية، ليكونوا لبنات قوية في بناء حضاري إسلامي منشود -بإذن الله تعالى-.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه -أجمعين-.

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم من حديث عمران ابن حصين.

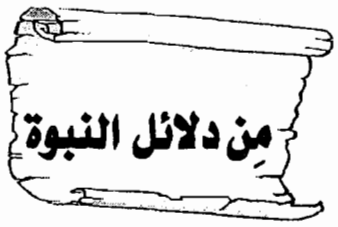

❖ الحلقة الأولى

أحاديث، ورجال

● بقلم: الشيخ أكرم بن محمد زيادة

أخرج ابن أبي شيبة (٣٧٥٦٣)، و مسلم (٢٥٣٨)، من حديث جابر بن عبدالله -رضي الله تعالى عنهما- بألفاظ متقاربة قوله -عليه الصلاة والسلام-:

«تسألوني عن الساعة؟! وإنما علمها عند الله! وأقسم بالله ما على الأرض من نفس منفوسة، تأتي عليها مائة سنة».

وللحديث طرق وألفاظ، وروايات وأسباب ورورود؛ كلُّها تدور حول معنى واحد -تقريباً-، ألا وهو: «إمكانية تجاوز بعض أفراد هذه الأمة، فضلاً عن غيرها من الأمم، المائة سنة»؛ فإن لورودها أسباباً عدة مختلفة، ولمخارجها، ورواتها، ومراتبها، رُتباً متفاوتة وأحكاماً متقاربة، إذا ما جُمِعَ بعضها إلى بعض، وضُفر في نسق، وضفيرة واحدة أفاد حكماً قطعياً، يقينياً، مستفيضاً؛ بل متواتراً.

وسأسوق هذه الطرق بحسب كثرة مخارجها، ومظانها، واتفاق ألفاظها، لا بحسب أفضلية رواتها من الصحابة، أو وفياتهم، أو طبقاتهم، أو هجاء أسمائهم أو صحة طرقها، أو غير ذلك مما دأب أهل العلم على التصنيف فيها، وفي غيرها:

أولاً: طرق، وأسانيد، وألفاظ، حديث جابر بن عبدالله الأنصاري -رضي الله تعالى عنهما-:

١/ ١- قال مسلم في «صحيحه» (٤/ ١٩٦٦/ ٢٥٣٨): حدثني هارون بن عبدالله، وحجاج بن الشاعر، قالا: حدثنا حجاج بن محمد، قال: قال: ابن جريج،

أخبرني أبو الزبير، أنه سمع جابر بن عبدالله يقول: سمعت النبي ﷺ يقول قبل أن يموت بشهر:

«تسألوني عن الساعة؟! وإنما علمها عند الله! وأقسم بالله ما على الأرض من نفس منفوسة، تأتي عليها مائة سنة».

٢/ ١- ثم قال مسلم -أيضاً-: (٢٥٣٨): «حدثنيه محمد بن حاتم، حدثنا محمد بن بكر، أخبرنا ابن جريج بهذا الإسناد، ولم يذكر: قبل موته بشهر».

٣/ ١- ثم قال: (٢٥٣٨): «حدثني يحيى ابن حبيب، ومحمد بن عبد الأعلى كلاهما، عن المعتمر، قال ابن حبيب: حدثنا معتمر بن سليمان، قال: سمعت أبي، حدثنا أبو نضرة، عن جابر بن عبدالله، عن النبي ﷺ، أنه قال ذلك قبل موته بشهر، أو نحو ذلك:

«ما من نفس منفوسة اليوم تأتي عليها مائة سنة وهي حية يومئذ».

٤/ ١- ثم قال أيضاً: (٢٥٣٨): حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا يزيد بن هارون، أخبرنا سليمان التيمي، بالإسنادين جميعا، مثله.

٥/ ١- ثم قال أيضاً: (٢٥٣٨): حدثني إسحاق بن منصور، أخبرنا أبو الوليد، أخبرنا أبو عوانة، عن حصين، عن سالم، عن جابر بن عبدالله قال: قال نبي الله ﷺ:

«ما من نفس منفوسة، تبلغ مائة سنة».

فقال سالم: «تذاكرنا ذلك عنده؛ إنما هي كل نفس مخلوقة يومئذ».

٦/ ١- ثم قال: (٢٥٣٨): وعن عبدالرحمن صاحب السقاية، عن جابر بن عبدالله، عن النبي ﷺ بمثل ذلك. وفسرها عبدالرحمن قال: «نقص العمر».

٧/ ١- وأخرج الطريق السابقة، ابن حبان في «الثقات» (٥/ ٨٣/ ٣٩٦٠) في ترجمة عبدالرحمن صاحب السقاية فقال: قال ابن قتيبة، قال: ثنا معتمر بن سليمان، عن أبيه، عن عبدالرحمن صاحب السقاية، عن جابر بن عبدالله، عن النبي ﷺ قال:

«ما من نفس منفوسة اليوم، تأتي عليها مائة سنة».

٨/ ١- وأخرجه الترمذي في «سننه» (٤/ ٥٢٠/ ٢٢٥٠) وحسنه، فقال: حدثنا هَنّاد، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ:

«ما على الأرض نفس منفوسة -يعني اليوم- تأتي عليها مائة سنة».

٩/ ١- وأخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٧/ ٥٠٣/ ٣٧٥٦٣) قال: حدثنا يزيد بن هارون، قال: أخبرنا سليمان التيمي، عن أبي نضرة، عن جابر أن رسول الله ﷺ قال:

«ما منكم من نفس منفوسة تأتي عليها مائة سنة وهي حية يومئذ».

١٠/ ١- وأخرجه أحمد في «مسنده» (٣/ ٣٠٥/ ١٤٣٢٠) قال: حدثنا محمد ابن أبي عدي، عن سليمان -يعني- التيمي، عن أبي نضرة، عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ، قبل موته بقليل، أو بشهر:

«ما من نفس منفوسة، أو: ما منكم من نفس اليوم منفوسة، يأتي عليها مائة سنة وهي يومئذ حية».

١١/ ١- وقال -أيضاً-: (٣/ ٣١٤/ ١٤٤١٢): حدثنا أبو معاوية، ثنا الأعمش عن أبي سفيان، عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ:

«ما من نفس منفوسة يأتي عليها مائة سنة».

١٢/ ١- وقال -أيضاً-: (٣/ ٣٢٢/ ١٤٤٩١): حدثني محمد بن بكر، أنا ابن جريج، أخبرني أبو للزبير، عن جابر بن عبدالله قال: سمعت النبي ﷺ يقول:

«يسألوني عن الساعة؟! وإنما علمها عند الله! وأقسم بالله ما على الأرض من نفس منفوسة اليوم، يأتي عليها مائة سنة».

١٣/ ١- وقال -أيضاً-: (٣/ ٣٢٦/ ١٤٥٣٣): حدثنا أبو النضر، ثنا المبارك ثنا الحسن، عن جابر بن عبدالله، أن رسول الله ﷺ سئل عن الساعة، قبل أن يموت بشهر، فقال:

«تسألوني عن الساعة؟! وإنما علمها عند الله عز وجل! فوالذي نفسي بيده، ما أعلم اليوم نفسا منفوسة يأتي عليها مائة سنة».

١٤/ ١- وقال -أيضاً-: (٣/ ٣٧٩/ ١٥٠٩٨): حدثنا يزيد، ثنا سليمان -يعني- التيمي، عن أبي نضرة، عن جابر بن عبدالله، أن النبي ﷺ قال لأصحابه:

«ما منكم من نفس، منفوسة يأتي عليها مائة سنة وهي حية يومئذ».

١٥/ ١- وقال -أيضاً-: (٣/ ٣٨٤/ ١٥١٦٨): حدثنا حجاج، قال ابن جريج أخبرني أبو الزبير، أنه سمع جابر بن عبدالله يقول: سمعت النبي ﷺ يقول، قبل أن يموت بشهر:

«تسألوني عن الساعة؟! وإنما علمها عند الله! وأقسم بالله ما على ظهر الأرض من نفس منفوسة اليوم، يأتي عليها مائة سنة».

١٦/ ١- وأخرجه عبد بن حميد في «مسنده» (١/ ٣١٤/ ١٠٢٥) قال: حدثني مُحاضِر بن المُورِّع، قال: حدثني الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر قال: «ولد من الأنصار غلام، فسماه محمداً؛ فقالوا: لا نسميك باسم رسول الله ﷺ حتى تستأمره! فأتوه، فوجدوه قد سقط من فرس على خشبة، وقد انفكت قدمه، فوجدوه في مشربة لعائشة، فقال:

«جئتم تسألوني عن كذا وكذا؟ فقالوا: نعم. فقال رسول الله ﷺ: سموا باسمي، ولا تكنوا بكنيتي. قال: وذكرتم الساعة؟ قالوا: قد كان ذلك، في الطريق. فقال: ما من نفس منفوسة، يأتي عليها مائة سنة».

١٧/ ١- وأخرجه أبو يعلى في «مسنده» (٣/ ٤٣٣/ ١٩٢٢): حدثنا أبو خيثمة حدثنا محمد، حدثنا الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر قال: قال النبي ﷺ:

«ما في الأرض نفس منفوسة تأتي عليها مائة سنة».

١٨/ ١- وقال -أيضاً-: (٤/ ١٥٢/ ٢٢١٧): حدثنا أبو خيثمة، حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا سليمان التيمي، عن أبي نضرة، عن جابر بن عبدالله، أن رسول الله ﷺ قال:

«ما منكم من نفس منفوسة، يأتي عليها مائة سنة وهي حية».

١٩/ ١- وقال -أيضاً-: (٤/ ١٩٨/ ٢٣٠٢): حدثنا ابن نمير، حدثنا محاضر عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر قال: أتينا النبي ﷺ فقال:

«جئتم تسألوني عن كذا وكذا؟ قلنا: نعم. قال: تسموا باسمي، ولا تكنوا بكنيتي. قال: وذكرتم الساعة؟ قلنا: قد كان ذلك. قال: فما من نفس منفوسة، يأتي عليها مائة سنة».

٢٠/ ١- وأخرجه نعيم بن حماد في «الفتن» (٢/ ٦٣٩/ ١٧٨٧) فقال: حدثنا ابن وهب، عن ابن لهيعة، عن أبي الزبير، عن جابر -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ، قبل موته بشهر:

«أقسم بالله ما على الأرض نفس منفوسة اليوم يأتي عليها مائة سنة».

٢١/ ١- واخرجه ابن حبان في «صحيحه» (٧/ ٢٥٤/ ٢٩٨٧) فقال: أخبرنا محمد بن أحمد بن أبي عون، حدثنا أحمد بن

إبراهيم الدورقي، حدثنا حجاج بن محمد، عن ابن جريج، عن أبي الزبير، عن جابر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول قبل أن يموت بشهر:

«تسألوني عن الساعة؟! وإنما علمها عند الله! وأقسم بالله ما على ظهر الأرض نفس منفوسة اليوم يأتي عليها مائة سنة».

٢٢/ ١- وقال -أيضاً-: (٧/ ٢٥٧/ ٢٩٩٠): أخبرنا أحمد بن علي بن المثنى حدثنا أبو خيثمة، حدثنا يزيد بن هارون، أخبرنا سليمان التيمي، عن أبي نضرة عن جابر بن عبدالله، أن رسول الله ﷺ قال:

«ما منكم من نفس منفوسة يأتي عليها مائة سنة وهي حية».

٢٣/ ١- واخرج الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٥٤٤/ ٨٥٢٢) فقال: حدثنا أبو عبدالله محمد بن يعقوب الحافظ، ثنا يحيى بن محمد ابن يحيى، ثنا مسدد، ثنا علي بن عيسى بن إبراهيم، ثنا محمد بن النضر الجُرَشي، ثنا عبدالله بن مسلمة بن قعنب قال: ثنا المعتمر ابن سليمان، عن أبيه، ثنا أبو نضرة، عن جابر -رضي الله عنه-، عن النبي ﷺ أنه قال، قبل موته بشهر، أو نحو من ذلك:

«ما من نفس منفوسة اليوم، يأتي عليها مائة عام، وهي حية يومئذ».

ثم قال معلقاً: «قد أخرج مسلم هذا الحديث بهذا الإسناد في الصحيح».

٢٤/ ١- وقال -أيضاً-: (٤/ ٥٤٤/ ٨٥٢٣): حدثنا أبو عبدالله محمد بن يعقوب، حدثني أبي، ثنا قتيبة بن سعيد، ثنا إسماعيل ابن عبد الكريم الصنعاني حدثني إبراهيم بن عقيل بن معقل بن منبه، عن أبيه عقيل، عن وهب بن منبه قال: هذا ما سألت عنه جابر ابن عبدالله -رضي الله عنهما-، فأخبرني أنه سمع رسول الله ﷺ يقول، قبل موته بشهر:

«يسألون عن الساعة؟! وإنما علمها عند الله! وأقسم بالله ما على الأرض نفس منفوسة اليوم، يأتي عليها مائة سنة».

ثم قال معلقاً: وهذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه بهذا اللفظ المفهوم المعقول، أن رسول الله ﷺ، إنما أراد ما على الأرض ذلك اليوم، مولود قد ولد، يأتي عليه مائة عام من ذلك الوقت الذي خاطبهم النبي ﷺ بهذا الخطاب، لا أن من يولد بعد ذلك العام لا يعيش مائة سنة، ألا ترى أن أمير المؤمنين -رضي الله عنه-، أغلظ فيه القول لأبي مسعود الأنصاري، صاحب

رسول الله ﷺ؛ لا بل من كبار الصحابة- رضي الله عنهم-».

ثانياً:- طرق، وأسانيد، وألفاظ، حديث عبدالله بن عمر -رضي الله تعالى عنهما-:

٢٥/ ٢- قال البخاري في «صحيحه» (١/ ٥٥/ ١١٦): حدثنا سعيد بن عفير، قال: حدثني الليث، قال: حدثني عبدالرحمن ابن خالد، عن ابن شهاب عن سالم، وأبي بكر ابن سليمان بن أبي حثمة، أن عبدالله بن عمر قال: صلى بنا النبي ﷺ العشاء في آخر حياته، فلما سلم قام فقال:

«أرأيتكم ليلتكم هذه ؟ فإن رأس مائة سنة منها، لا يبقى ممن هو على ظهر الأرض أحد».

٢٦ / ٢- وقال -أيضاً-: (١/ ٢٠٧/ ٥٣٩): حدثنا عبدان قال: أخبرنا عبد الله، قال: أخبرنا يونس، عن الزهري، قال سالم: أخبرني عبدالله، قال: صلى لنا رسول الله ﷺ ليلة صلاة العشاء، وهي التي يدعو الناس العتمة، ثم انصرف، فأقبل علينا فقال:

«أرأيتم ليلتكم هذه؟ فإن رأس مائة سنة منها لا يبقى ممن هو على ظهر الأرض أحد».

٢٧ / ٢- وقال -أيضاً-: (١/ ٢١٦/ ٥٧٦): حدثنا أبو اليمان، قال: أخبرنا شعيب عن الزهري، قال: حدثني سالم بن عبدالله بن عمر، وأبو بكر بن أبي حثمة أن عبدالله بن عمر قال: صلى النبي ﷺ صلاة العشاء في آخر حياته، فلما سلم قام النبي ﷺ فقال:

«أرأيتكم ليلتكم هذه؟ فإن رأس مائة، لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد».

«فوهل الناس في مقالة رسول الله ﷺ، إلى ما يتحدثون من هذه الأحاديث عن مائة سنة، إنما قال النبي ﷺ»:

«لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض».

يريد بذلك أنها تخرم ذلك القرن.

٢٨ / ٢- وأخرجه مسلم في «صحيحه» (٤/ ١٩٦٥/ ٢٥٣٧) قال: حدثنا محمد بن رافع، وعبد بن حميد، قال محمد بن رافع: حدثنا، وقال عبد: أخبرنا عبدالرزاق، أخبرنا معمر، عن الزهري، أخبرني سالم بن عبدالله، وأبو بكر بن سليمان، أن عبدالله بن عمر قال: صلى بنا رسول الله ﷺ ذات ليلة صلاة العشاء، في آخر حياته، فلما سلم قام فقال:

«أرأيتكم ليلتكم هذه؟ فإن على رأس مائة سنة منها، لا يبقى ممن هو على ظهر الأرض أحد».

قال ابن عمر: «فوهل الناس في مقالة رسول الله ﷺ تلك، فيما يتحدثون من هذه الأحاديث عن مائة سنة، وإنما قال رسول الله ﷺ»:

«لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد».

يريد بذلك أن ينخرم ذلك القرن.

٢٩/ ٢- وقال -أيضاً-: (٤/ ١٩٦٦/ ٢٥٣٧): حدثني عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي، أخبرنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب.

ورواه الليث، عن عبدالرحمن بن خالد ابن مسافر، كلاهما عن الزهري بإسناد معمر، كمثل حديثه.

٣٠/ ٢- وأخرجه الترمذي في «سننه» (٤/ ٥٢٠/ ٢٢٥١) وصححه وقال: حدثنا عبد بن حميد، أخبرنا عبدالرزاق، أخبرنا معمر، عن الزهري، عن سالم بن عبد الله، وأبي بكر بن سليمان، وهو ابن أبي حثمة، أن عبدالله بن عمر قال: صلى بنا رسول الله ﷺ ذات ليلة صلاة العشاء، في آخر حياته، فلما سلم قال»:

«أرأيتكم ليلتكم هذه؟ على رأس مائة سنة منها لا يبقى ممن هو على ظهر الأرض أحد».

قال ابن عمر: «فوهل الناس في مقالة رسول الله ﷺ تلك فيما يحدثونه من هذه الأحاديث، عن مائة سنة، وإنما قال رسول الله ﷺ»:

«لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد».

يريد بذلك أن ينخرم ذلك القرن.

ثالثاً:- طرق، وأسانيد، وألفاظ، حديث أبي سعيد الخدري -رضي الله تعالى عنه-:

٣١/ ٣- أخرج مسلم في «صحيحه» (٤/ ١٩٦٧/ ٢٥٣٩) قال: حدثنا ابن نمير حدثنا أبو خالد، عن داود -واللفظ له- ح - وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا سليمان بن حيان، عن داود، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد، قال: لما رجع النبي ﷺ من تبوك، سألوه عن الساعة، فقال رسول الله ﷺ:

«لا تأتي مئة سنة وعلى الأرض نفس منفوسة اليوم».

٣٢/ ٣- وأخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٧/ ٥٠٢/ ٣٧٥٦٠) فقال: حدثنا أبو خالد الأحمر، عن داود، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد قال: لما رجع رسول الله ﷺ من

تبوك، سألوه عن الساعة، فقال رسول الله ﷺ:

«لا تأتي مائة سنة، وعلى الأرض نفس منفوسة اليوم».

٣/ ٣٣- وأخرجه الطبراني في «الأوسط» (٢/ ٣٥٣/ ٢٢١٠) و«الصغير» (١/ ٦٣/ ٧٤) فقال: حدثنا أحمد بن حمويه أبو سيار التستري قال: نا عبدان العسكري قال: نا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة قال: نا داود بن أبي هند، عن أبي عثمان النهدي، عن أبي سعيد الخدري قال: لما رجعنا من تبوك، سأل رجل رسول الله ﷺ: متى الساعة؟ قال:

«لا يأتي على الناس مائة سنة، وعلى ظهر الأرض نفس منفوسة اليوم».

٣/ ٣٤- وأخرجه ابن حبان في «صحيحه» (٧/ ٢٥٣/ ٢٩٨٦) فقال: أخبرنا محمد بن المسيب بن إسحاق، حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا أبو خالد الأحمر، عن داود بن أبي هند، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد الخدري قال: لما رجع رسول الله ﷺ من تبوك، سئل عن الساعة فقال:

«لا يأتي على الناس مائة سنة، وعلى ظهر الأرض نفس منفوسة».

رابعاً:- طرق، وألفاظ، حديث أنس بن مالك -رضي الله تعالى عنه-.

٣٥/ ٤-: وأخرج أبو يعلى في «مسنده» (٥/ ١٤٤/ ٢٧٥٨)، وعنه لبن حبان في «صحيحه» (٧/ ٢٥٨/ ٢٩٩١) -مختصراً- وقبل ذلك بتمامه في (٧/ ٢٥٥/ ٢٩٨٨)، من طريق عمران بن موسى بن مجاشع، بنفس طريق أبي يعلى، حيث قال أبو يعلى: حدثنا هدبة بن خالد حدثنا مبارك قال سمعت الحسن عن أنس أن رجلاً قال للنبي ﷺ: متى الساعة؟ فقال رسول الله ﷺ:

«أما إنها قائمة! فماذا أعددت لها؟ قال: ما أعددت لها كبيراً؛ إلا أني أحب الله ورسوله. قال رسول الله ﷺ: «فأنت مع من أحببت ولك ما احتسبت. ثم قال: تسألوني عن الساعة؟! والذي نفسي بيده، ما على الأرض نفس منفوسة اليوم تأتي عليها مائة سنة».

وللبحث بقية . . .

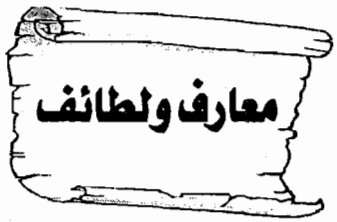

قطف الورود من حديث أبي زرع الودود

● بقلم: الحارث بن زيدان المزيدي

هذا جزء لطيف أذكر فيه قصةً كبيرةً في حجمها وفائدتها، وهي المعروفة بـ(حديث أُمّ زرعٍ)، وهي قصة حكتها السيدة عائشة -رضي الله عنها- للنبي ﷺ، مضمونها: إنّ إحدى عشرةَ امرأة اجتمعن في مجلسٍ لهنّ على أن لا تكتم إحداهن شيئاً من أحوال زوجها!

فهي قصة مفيدة يعرف المرء من خلالها الأخلاق المذمومة فيجتنبها، ويعرف الأخلاق الحميدة المحبوبة فيتخلق بها.

فأحببت أن أسرد عليكم القصة، وأن أذكر لها شرحاً مختصراً، مستفيداً من شرح «صحيح البخاري» وهو «فتح الباري» لابن حجر، وشرح صحيح مسلم وهو «المنهاج» للنووي، و«شرح السنّة» للبغوي، ثم أذكر مجموعة من الفوائد والدرر المستفادة من هذه القصة.

والآن أتركم وهذه القصة الرائعة، تجولون بخواطِركم مع جمالها ولآلئها.

قال الإمام البخاري: حدثنا سليمان بن عبدالرحمن وعلي بن حُجْر قالا: أخبرنا عيسى بن يونس، حدثنا هشام بن عروة عن عبدالله بن عروة عن عروة عن عائشة قالت:

جلس إحدى عشرة امرأةً فتعاهدن أن لا يكتمن من أخبار أزواجهن شيئاً:

قالت الأولى: زوجي لَحْمُ جَمَلٍ غثٍّ على رأس جبل وعرٍ، لا سهل فيُرتقى، ولا سمين فيُنتقل.

قالت الثانية: زوجي لا أبثُّ خبره، إني أخاف أن لا أذره، إن أذكره أذكر عُجَرَهُ وبُجَرَه.

قالت الثالثة: زوجي العَشَنَّق، إن أنطق أُطَلَّق، وإن أسكت أُعلَّق.

قالت الرابعة: زوجي كليل تهامة، لا حرٌّ، ولا قرّ، ولا مخافة، ولا سآمة.

قالت الخامسة: زوجي إن دخل فهد، وإن خرج أسد، ولا يسأل عمّا عَهِدَ.

قالت السادسة: زوجي إن أكل لفّ، وإن شرب اشتفَّ، وإن اضّطجع التفّ، ولا يولج الكفّ ليَعْلم البثَّ.

قالت السابعة: زوجي غياياء -أو عياياء- طباقاءُ، كل داءٍ له داءٌ شجَّك، أو فلَّكِ، أو جمع كُلاً لك.

قالت الثامنة: زوجي المسّ مسُّ أرنب، والرِّيح ريح زرنبٍ.

قالت التاسعة: زوجي رفيع العماد، طويل النِّجاد، عظيم الرَّماد، قريب البيت من النَّاد.

قالت العاشرة: زوجي مالك وما مالك؟ مالك خير من ذلك، له إبل كثيرات المبارك، قليلات المسارح، وإذا سمعن صوت المزهر أيقنّ أنّهنّ هوالك.

قالت الحادية عشرة: زوجي أبو زرع وما أبو زرع؟ آنَاسَ من حُليٍّ أذنيَّ، وملأ من شحمٍ عضديَّ، وبجَّحني فَبَجِحتْ إليَّ نفسي، وجدني في أهل غنيمة بشقّ، فجعلني في أهل صهيلٍ وأطيطٍ ودائسٍ ومُنقٍّ، فعنده أقول فلا أُقبَّح، وأرقد فأتصبَّح، وأشرب فأتقنَّح.

أم أبي زرع فما أم أبي زرع عكومها رداح، وبيتها فساح، ابن أبي زرع فما ابن أبي زرع؛ مضجعه كمسلِّ شطبة، ويُشبعه ذراع الجفرة، بنت أبي زرع فما بنت أبي زرع؛ طوع أبيها وطوع أمها، وملء كسائها، وغيظ جارتها، جارية أبي زرع فما جارية أبي زرع لا تبث حديثنا تبثيثاً، ولا تنقث ميرتنا تنقيثاً، ولا تملأ بيتنا تعشيشاً.

قالت: خرج أبو زرع والأوطاب تُمخض، فلقي امرأة معها ولدان لها كالفهدين يلعبان من تحت خصرها برمَّانتين، فطلقني ونكحها فنكحت بعده رجلاً سريّاً، ركب شريّاً، وأخذ خطِّيّاً، وأراح عليَّ نعماً ثريّاً، وأعطاني من كل رائحة زوجاً وقال: كلي أمّ زرع وميري أهلك.

قالت: فلو جمعت كلّ شيء أعطانيه ما بلغ أصغر آنية أبي زرع.

قالت عائشة: قال رسول الله ﷺ: «كنت لك كأبي زرع لأم زرع»[1].

وكما رأيت أخي الكريم وأختي الكريمة جمال هذه القصّة، وأنها جديرة بأن تحفظ، فمنها يعرف الرجل الأخلاق الجميلة،

---

(١) أخرجه البخاري (٥١٨٩)، ومسلم (٢٤٤٨)، والبغوي في «شرح السنّة» (٢٣٤٠).

والآداب الرفيعة في التعامل مع الزوجة، وكذلك هي.

وهذا شرح مختصر يساعد على الفهم، ويحل بعض المفردات التي هي بالنسبة للبعض ألغاز -مع أنها من صلب لغتهم العربية-:

الزوجة الأولى: ذمت زوجها وشبهته بأنه **(لحم جمل غثّ)**[1]، ومعروف أنّ لحم الجمل شديد، فكيف إذا اقترن بذلك ضعفه، فالزوج غليظ الطبع.

(على رأس جبل وعر) أي: مع شدته وهزله فهو بعيد المنال على جبل، والجبل وعر يصعب الصعود إليه، كناية عن شدة طبعه وصعوبة الوصول لقلبه، وكثرة تضجره.

(لا سهل فيرتقى) بيان وتأكيد لما سبق، **(ولا سمين فينتقل)** أي: هو لحم هزيل ضعيف لا يرغب أحد فيه فيذهب إليه، كناية عن طبعه المكروه بين الناس.

الزوجة الثانية: **(زوجي لا أبثُّ خبره، إني أخاف أن لا أذره)** خبر زوجها طويل فلم تبثه، وخشيت إن ذكرته أن لا تذره أي: لا تترك الكلام فيه لطوله، أو أنها تخاف إن ذكرت عيوبه عرف ذلك وطلقها، وهي لا تريد أن تذره[2]، وعلى هذا المعنى تكون (لا) في قولها: (لا أذره) زائدة، ولكنها اكتفت بالإشارة إلى معايبه بقولها **(عُجره وبُجره)**، العُجر: العروق الناتئة من الجسد، والبُجر: العروق التي في البطن، كناية عن عيوبه الكثيرة الظاهرة والخافية التي لا يعرفها إلا من خبر الرجل ولازمه.

الزوجة الثالثة: ذكرت من عيوب زوجها: أنه طويل بلا فائدة بقولها: **(زوجي العشنَّق)**[3]، فهو مظهر بلا جوهر، ولا خير فيه، وذكرت أنه تركها معلقة من غير أن يعطيها حقوقها، وهي تخاف أن تنطق وتتكلم عن عيوبه فيطلقها: **(إن أنطق أطلَّق، وإن أسكت أعلّق)**.

الزوجة الرابعة: مدحت زوجها مدحاً جميلاً بليغاً لما شبهته **(بليل تهامة)** وليل هذه المنطقة -تهامة- ساكن الريح ودافئ الجوّ؛ كناية عن اعتدال زوجها وطيب عشرته، وفسّرت ذلك بقولها: **(لا حرّ ولا قرّ، ولا سآمة، ولا مخافة)** حر: أي ليس طبعه شديداً ومؤذاً، بل

---

(١) أي: لحم الجمل الهزيل.

(١) أي: تتركه.

(٢) وهو الطويل المذموم.

هو لين سهل، (القر: البرد): فهو ليس ببارد الخلق، (والسآمة: الملل) فزوجته لا تمله لحسن عشرته ولا يملها.

الزوجة الخامسة: مدحت زوجها -أيضاً- بأنه كالفهد في بيته، والأسد في خروجه، فالفهد كثير النوم في بيته، ولا يؤذي من فيه، ويتغافل عن مساوئه وتقصير الزوجة فيه، وكالأسد في قوته وشجاعته: **(زوجي إن دخل فهد، وإن خرج أسد)**، وأنه لا يؤذي أهله بكثرة سؤاله عما عهد[1] في بيته مما يجلبه يشتريه إذا نقص منه شيء أو تغيّر: **(ولا يسأل عما عهد)**.

الزوجة السادسة: ذكرت أنّ زوجها كثير الأكل والتنويع منه: **(إن أكل لفّ)**، اللف: التخليط من الصنوف بالأكل، **(وإن شرب اشتفّ)** أي: استقصى ما في الإناء فلا يبقي منه شيئاً مما يدل على نهمته، ثم ذكرت بعض ما تكرهه منه، وهو أنه لا يرعاها ولا يستمع لبثها وشكواها، فهو إذا ذهب للنوم اضطجع والتفّ[2]: **(وإن اضطجع التف، ولا يولج الكف ليعلم البث)**.

الزوجة السابعة: ذمّت زوجها فقالت: **(غياياء)** من الغي: الانهماك في الشر أو الخيبة، أو **(عياياء)** أي: إنه عِنّين يعجز عن مباضعة النساء، وأنه **(طباقاء)** أي: أحمق ينطبق عليه أمره، وأخذ من كل عيب من عيوب الناس بنصيب: **(كل داء له داء)**، وذكرت أنه يضربها بشدة أحياناً تكون نتيجة الضرب **(شجّك)**[3]، أو **(فلّك)**[4]، **(أو جمع كلاً لك)** أو يجمع بينهما.

الزوجة الثامنة: مدحت زوجها فذكرت ريحه الطيبة كريح الزرنب[5]، وذكرت لين جانبه ونعومته تجاهها كنعومة الأرنب في خُلقه ولين ملمسه: **(الريح ريح زرنب والمس مس أرنب)**.

الزوجة التاسعة: مدحت زوجها -أيضاً- بالوصف الجميل فهو ذو شرف، وذو بيتٍ عالٍ: **(رفيع العماد[6])**، وذكرت أنه:

---

(١) أي: حفظ ورعى.

(٢) أي: نام في ناحية من الفراش وحده وتلفلف!

(٣) أي: جرح في الرأس.

(٤) أي: يكسر عضو من أعضائها، وقيل: يكسرها بسلاطة لسانه.

(٥) وهو نبت طيب الرائحة.

(٦) البناء العالي المرتفع.

(**طويل النجاد**[1])، فإذا كان النجاد طويلاً كان الرجل كذلك، وذكرت أنه (**عظيم الرماد**) أي: نار بيته لا تهدأ فرمادها كثير لكثرة ضيوفه، ولما يجود به إليهم، وأنه : (**قريب البيت من الناد**) أي: مجلس قومه -يُسمى النادي- قريب من بيته ليُسهّل لقاءه، ويكون أقرب لمن يحضره من الضيوف فيكرمهُ.

الزوجة العاشرة: مدحت زوجها بأسلوب تعظيم وتعجب فقالت: (**زوجي مالك وما مالك؟ مالك خير من ذلك**) يعني: أي زوجٍ هو ما أعظمه! ومهما ذكرت فهو خير مما سأثني عليه به، قالت: (**له إبل كثيرات المبارك، قليلات المسارح**) أي: له إبل كثيرات، وهي غالباً ما تكون باركة بفناء داره، وقيل: ما يتركها تبتعد وتسرح في المرعى، فهي بالاستعداد لتكون وجبة هنيئة مريئة للضيف، وكان من عرفهم إذا جاء الضيف ضرب له بالمزهر -العود- فلما تسمع الإبل ذلك تعرف وتتيقن أن بعضها سينحر من أجله: (**إذا سمعن صوت المزهر أيقنّ أنهنّ هوالك**).

(١) ما يوضع فيه السيف.

الزوجة الحادية عشرة: وصفت زوجها بما لم تصفه إحدى الحاضرات، فأحسنت وصفه، وبدأت بأسلوب التعظيم والتعجب: (**زوجي أبو زرع فما أبو زرع؟**)، ثم ذكرت سبب هذا المدح: (**أناس من حليّ أذنيّ**) أي: زين أذني بالقرطة (أي: حلق الأذنيين) فهي كثيرة تنوس[2] وتتحرك يميناً وشمالاً على أذني، (**وملأ من شحمٍ عضدي**[3]) أي: أكرمني وأكّلني حتى سمنت، (**وبجّحني فبجحت إليّ نفسي**) أي: عظّمني ورفعني بكلماته المادحة، فعظمت عندي نفسي، (**وجدني في أهل غنيمة بشق**) أي: أهلها كانوا يسكنون شق جبل، وعندهم قليل من الغنم، فأخرجها من هناك وجعلها في غنى من الخيل: (يُسمى صوته صهيلاً)، والإبل: (يُسمى صوته أطيطاً)، والزرع المنقى: (**فجعلني في أهل صهيلٍ وأطيط ودائس**[4] **ومنق**).

(٢) النوس: حركة كل شيء متدلٍّ.

(٣) العضد: هو ما بين المرفق والكتف، فإذا سمن دلّ على أن البدن كله كذلك.

(٤) الدائس: هو الذي يُداس بالرجل وهو الزرع.

وذكرت من حسن عشرته أنه لا يقبح قولها إذا تكلمت، وأهله لا يقبحون قولها -أيضاً- لما يعلمون من احترامه لها: (**فعنده أقول فلا أقبّح**)، وذكرت أنه أكرمها ودلّلها، فجعل عندها من يخدمها، فلا تحتاج أن تستيقظ من النوم مبكراً بل هي في أول النهار -الصبحة- تكون نائمة: (**وأرقد فأتصبّح**)، وذكرت أنّ من شدة العز الذي هي فيه والدلال أنها إذا شربت لم تكمل الإناء لارتوائها: (**وأشرب فأتقنّح**[1]).

ثم من شدة حبها لزوجها أخذت تصف محاسن أهله ومنهم أمه، فقالت عنها: (**أم أبي زرع فما أم أبي زرع عكومها رداح، وبيتها فساح**) أي: بيتها واسع فسيح وعندها عكوم وهي الأوعية المملوءة بالأطعمة، بل من شدة حبها له ذكرت محاسن ابنه، فمدحت فيه نحافته وأنه قليل الأكل، حيث ذكرت أنّ محلّ نومه قدره مثل قدر ما يُسل من سعف النخل من قضبان رقاق، فقالت: (**ابن أبي زرع فما ابن أبي زرع؛ مضجعه كمسلّ شطبة**)، وأنه يشبع من أكل ذراع الجفرة[2] (**ويُشبعه ذراع الجفرة**)، ومدحت ابنته بأنها مطيعة لأبويها، ومملوء باللحم جسدها فهي جميلة وخلوقة حتى غارت منها جارتها[3]: (**بنت أبي زرع فما بنت أبي زرع؛ طوع أبيها وطوع أمها، وملء كسائها، وغيظ جارتها**)، بل تعدّى المدح -أيضاً- إلى خادمة أبي زرع فقالت في مدحها: (**جارية أبي زرع فما جارية أبي زرع لا تبث حديثنا تبثيثاً، ولا تنقث ميرتنا تنقيثاً، ولا تملأ بيتنا تعشيشاً**) أي: تكتم سرنا ولا تشيعه، ولا تبثه لأحد فهي أمينة، ولا تفسد علينا طعامنا، وتعتني بالبيت فتكنسه، ولا تفتر عن ذلك لكي لا يمتلئ بالأوساخ، وتتعشّش المخلوقات فيه.

ومن الغريب أنّه بعد هذا كله خرج أبو زرع في الربيع، وحينما كان اللبن يُحلب في الأوطاب[4]، فلقي امرأة أُعجب بها فطلق أم زرع، وتزوّج تلك: (**خرج أبو زرع والأوطاب تُمخض، فلقي امرأة معها ولدان لها كالفهدين يلعبان من تحت خصرها برمّانتين، فطلقني ونكحها**).

---

(١) تقنّح إي: رفع رأسه وامتنع عن الشرب ريّاً.

(٢) هي الأنثى من أولاد المعز.

(٣) أي: ضرتها.

(٤) وهي الأوعية.

فنقول لأبي زرع: لو أبقيت أم زرع عندك وتزوجت..

ثم تزوجت أم زرع بعد ذلك رجلاً سرياً: شريفاً، صاحب خيل شري[1]: **(فنكحت بعده رجلاً سريّاً، ركب شريّاً)**، وأنه صاحب عتاد، عنده (خطيّا) وهو الرمح؛ وسمي خطيّاً لأنه يجلب من الخط[2]، وهذا في قولها: **(وأخذ خطّيّاً)**.

وذكرت أنه ذو جودٍ، وذو كرمٍ فهو يذهب إلى مرعى الإبل والماشية، ويعطيها دابتين من كل ما هو موجود من الإبل والبقر والغنم: **(وأراح عليَّ نعماً ثريّاً، وأعطاني من كل رائحة زوجاً)**، ولم يتوقف خيره عليها بل قال: (ميري[3])، **(وقال: كلي أمّ زرع وميري أهلك)**، ومع هذا فهي لا تزال تُحب أبا زرع لما كان من حُسن عشرته وكرمه معاً: **(فلو جمعت كلّ شيء أعطانيه ما بلغ أصغر آنية أبي زرع)**.

فقال النبي الكريم ﷺ مداعباً السيدة عائشة: «كنت لك كأبي زرع لأم زرع».

الآن أذكر الفوائد والفرائد المستخرجة من هذه القصة مما يُعين على فهمها أكثر، وليكون الانتفاع أكبر.

ومن هذه الفوائد:

١- من الحسن أن تقص الزوجة على الزوج القصص الجميلة، خاصة ذات المعاني المفيدة، ولو كانت القصة طويلة.

٢- حُسن الاستماع للغير، فالنبي ﷺ لم يقاطع السيدة عائشة طوال ذكرها للقصة على طولها، فالزوج الصالح هو الذي يستمع لزوجته، ولا يقاطع حديثها.

٣- ضرب الأمثال لتسهيل إدراك المعنى المراد.

٤- أنّ من الأخلاق السيئة: شدة الزوج مع زوجته.

٥- وفيه أنّ على الزوج أن يُسهل وصول زوجته إلى قلبه، ولا يضع الحواجز المانعة تكبراً وتعنتاً.

٦- ومن صفات الزوج الصالح: أن لا يسأم منه أهله، فروحه عالية طيبة ومتجددة.

٧- وفيه تدليل الرجل لامرأته؛ بأن يصفها بالصفات اللائقة المشجعة، حتى تقوى شخصيتها، وتشعر بحبه لها.

---

(١) أي: أصيلة تمشي بلا فتور ولا انكسار.

(٢) موضع بنواحي البحرين.

(٣) أي: صِلي أهلك وأعطيهم وأكرميهم.

٨- وفيه أنّ من حسن الخلق ترك الزوجة تعطي أهلها شيئاً من طعام بيتها من غير أن يُنكر الزوج عليها.

٩- ومن صفات الزوجة الصالحة: أن لا يكون بينها وبين أم زوجها عداوات، ولا داعي لذلك أصلاً؛ لأنّ لكل من الطرفين حقوقاً على الرجل تختلف عن حقوق الآخر، فلا تصادم، وإذن فلا نزاع.

١٠- وفيه أنّ الزوج الصالح لا تخافه زوجته، بل تألفه ويألفها فتقول عنده ما في نفسها.

١١- وفيه حرص المرأة على البقاء مع زوجٍ يؤويها، ولو كان فيه بعض العيوب.

١٢- وفيه أنّ الزوج الصالح يقبل العذر ويتسامح إذا اعتذرت منه زوجته فهو رجل سهل، وعلى العكس من ذلك الزوج الذي لا يُسهّل الطريق لذلك.

١٣- وفيه أنه ليس من الحسن أن ينام الزوج قبل أن يكلم زوجته ويمد يد الحنان إليها؛ لأنّ ذلك يُحزنها.

١٤- ومن الصفات الطيبة في الزوج: أن لا يكون نداً لزوجته في شؤون بيتها، وعليه إن رأى تغيُّراً في البيت أو زيادة أو نقصاً -يسيراً- تغاضى عنه أو سأل بلا إحداث شجارٍ مع زوجته، والعاقل من يترك ذلك لرأيها وذوقها.

١٥- وفيه أن الزوج اللبيب يعمل جاهداً على تقليل عيوبه، بل التخلص منها، فهذا مما يُعلي قدره عند زوجته، وعكس ذلك ينتج عنه عكس هذا.

١٦- وفيه أنّ من الصفات المحبوبة للزوجة: شهامة الزوج خارج منزله وشجاعته، مما يجعل المرأة تفتخر بذلك.

١٧- وفيه أنّ من الصفات الحسنة في المرأة: كونها طاهية ماهرة بحيث إن أكل زوجها من طبخها التهمه التهاماً.

١٨- ومع ذلك فلا ينبغي للزوج أن يكون نهماً مفجوعاً على الطعام؛ لأن ذلك يُنزِل من قدره عند أهله.

١٩- ومن الصفات الذميمة في الزوج: الحمق، ويكون ذلك بالإكثار من التصرفات غير الموزونة، وكثرة السخرية من الآخرين، وعدم تفهم كلام المتحدثين.

٢٠- ومن صفاته الحسنة: أنه ليس بشديد حاد، ولا بارد، لا يهتم، ولا يعقل ما تقوله زوجته، بل هو متفهم لقولها ومنصت لها، ومتجاوب معها.

٢١- ومن الصفات الذميمة في الزوج: ضربه لزوجته.

واعلم أنّ الضرب لا يجوز إذا كان على الوجه -مطلقاً- أو كان مبرحاً، وإنما جاز الضرب في شرعنا في باب التأديب، ولكي تشعر الزوجة بذنبها، ويكون الضرب بعد وسائل تأديبيّة متنوعة كالموعظة، قال الله -سبحانه-: ﴿ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ﴾ [النساء: ٣٤]، وقال النبي ﷺ في سياق ذكر حقوق المرأة على الرجل: «ولا تضرب الوجه ولا تقبح»(١).

٢٢- ومن الصفات الطيبة في الزوج: مراعاة الزوجة وعدم ترك السؤال عن حالها والاستماع لشكواها؛ لأنّ ذلك يُخفف عنها، وعكسه يجعل متاعب الحياة عليها كالجبال.

٢٣- ومن الصفات الطيبة في الرجل: كرمه مع جميع الناس، وبذله ما يستطيع لهم حتى يوصف بأنه حاتم الطائي في الكرم.

٢٤- ومن الصفات الحسنة: لين الجانب مع الأهل، والرفق بهم في عامة التعامل، والابتعاد عن الضجر.

٢٥- وفيه أن الزوجة تحب أن يكون زوجها رفيع القدر بين أهله ومجتمعه، فهي تفتخر بذلك وتشعر بأنها ذات مكانة، لأنها وزوجها سواء.

٢٦- وفيه أن من علامة حب الرجل لأخيه: أن يحب أهله من أبنائه وغيرهم، وحب الخير لهم.

٢٧- وفيه أنه ينبغي على الزوجين أن يكونا طيبي الرائحة، فإن مرّ أحدهما على الآخر شمّ ما يسعده ويجذبه، وأما خلاف ذلك فهو خلق منفّر جداً، وعلى الزوجين اجتنابه بتعهد بدنها ولباسها.

٢٨- وفيه أن من الصفات الحسنة في المرء أن يكون حاضراً جاهزاً لأي ضيف يقدم عليه؛ بأن يخبئ له ما يحتاجه من فراش وغير ذلك، فإن نزل عليه استقبله براحة وبلا تكلف، وأشار النبي لذلك بقوله: «فراش للرجل، وفراش لامرأته، والثالث للضيف، والرابع للشيطان»(٢)، الرابع للشيطان: فيه إشارة إلى ترك التبذير.

---

(١) «صحيح سنن أبي داود» (٢١٤٢).

(١) رواه مسلم (٢٠٨٤).

٢٩- ومن صفات الزوج الصالح أنه يعمل على امتلاك قلب زوجته، فإن ذلك أغلى عندها من إسباغ المال الكثير عليها.

٣٠- وفيه تزيين الرجل امرأته بالحُلي، وإكرامها بالطعام الطيب المنتقى لها، فإن ذلك مما يؤلّف بينهما كثيراً.

٣١- ومن الصفات المهمة التي ينبغي على كل زوج التحلي بها: أن يُشعر الزوج زوجته بتقديره لها، ويكون ذلك بأن يُعاملها بدرجة احترام كبيرة أمام الآخرين تفوق تقديره واحترامه لهم فيكون لها تعامل خاص -وكذا فيما بينهما-، فإن ذلك سيشعرها بأهميتها عنده.

ولا شك أن هذا بشرط أن لا يؤدي إلى مفسدة يترتب عليها تكبّرها عليه وإعراضها عنه.

٣٢- وفيه أنّ الرجل العاقل يعمل على أن يكون ذا قيمة عند أهله بعلمه، وأدبه، وجاهه، لكي تشعر الزوجة أنه يستحق أن يُتكلّف له، وأن يُتوصّل إلى قلبه.

٣٣- وفيه ذم تقبيح الرجل لقول المرأة -وإن لم يستحسنه-؛ لأن عدم التقبيح من حُسن العشرة، وهو مما يجعلها لا تكتم شيئاً عنه.

٣٤- ومن الحسن أن يُساعد الزوج زوجته بإحضار من يخدمها -إذا تطلب الأمر ذلك-.

٣٥- وفيه أنّ من الأخلاق الذميمة: ترك الزوج زوجته من غير إعطائها حقوقها، ومع ذلك هو لا يريد أن يُسرِّحَها، فإنّ هذا الحال صعب على المرأة جداً.

٣٦- ومما تحبه المرأة في الرجل القامة المعتدلة، ولو كان طويلاً فحسن مع الوجاهة والنباهة.

٣٧- وفيه أنّ من أخلاق الأبناء العالية: طاعتهم لأبويهم؛ لأنه خُلق محبوب ونادر.

٣٨- وفيه أنّ العرب كانت تمدح المرأة الممتلئة -لا النحيفة أو السمينة-، وتعدّ ذلك من صفات الكمال والجمال في المرأة.

٣٩- وعلى العكس من ذلك الرجل؛ فهو ممدوح بنحافته؛ لأن ذلك أسهل للعمل، وأنشط، وأنفع في الكرّ والفرّ.

٤٠- وفيه أنّ على الرجل والمرأة أن يختارا الخادم الأمين الذي يُحسن عمله ويُرضي سيده.

٤١- وفيه إسباغ الرجل على امرأته بالنعم، وأن يفتح لها باب صلة أهلها بذلك،

ويحثها عليه؛ لأنّ هذا يُفرحها ويُعلي من شأنها عند أهلها.

٤٢- وفيه أن امتلاك زمام المرأة يكون بامتلاك قلبها، فأبو زرع مع أنه طلقها من غير سبب ظاهر، ومع إكرام الزوج الثاني لها فهي لا تزال تذكر جميل أبي زرع إليها وحُسن عشرته معها، بل إنّ أقل ما أعطاها أبو زرع يبلغ عندها أكثر مما أعطاها ذاك الثري، مما يدل أن القلب يُملك بحسن العشرة والأخلاق، لا بالمال وحده.

ومن الفوائد التي ذكرها ابن حجر في «الفتح»:

٤٣- فيه ذكر المرأة لغيرها إحسان زوجها لها.

٤٤- وفيه جواز الانبساط بذكر طرف الأخبار، ومستطابات النوادر تنشيطاً للنفوس.

٤٥- وليس فيه جواز ذكر المرأة عيوب زوجها المعين؛ لأن ذلك من الغيبة المحرمة، إلا في مقام الشكوى، ولكن إن كان الزوج مجهولاً عند الحاضرين فلا حرج من سماع الكلام فيه؛ لأنه لا يتأذى إلا إذا عرف أن من ذُكر عنده يعرفه.

٤٦- وفيه أنّ الحب يستر الإساءة؛ لأن مع إساءته لها لم يمنعها ذلك من المبالغة في وصفه.

٤٧- وفيه جواز الكلام بالألفاظ الغريبة، واستعمال السجع في الكلام إذا لم يكن متكلفاً.

٤٨- وفيه أنّ مجالس النساء لا تخلو من القيل والقال، والتكلم في الآخرين، فعلى النساء أن ينتبهن لذلك، وأن يتجمّعن على هدف وخير، فإنّهنّ مسؤولات مستنطقات يوم القيامة.

٤٩- وليعرف النساء أنّ الرجال أصناف في أطباعهم وتصرفاتهم، وعليه فلا تتوقع المرأة أن يكون خلق زوجها كخلق خير البشر -وهو النبي ﷺ- أو غيره مما تحب أن يكون، فلتتوقع غير ذلك، ولتتأقلم مع شخصيّة زوجها -مع عدم مخالفة شرع ربها-.

٥٠- وفيه حب النساء للذهب والحلي، وأن ذلك من أفضل ما يُهدي الزوج زوجته.

٥١- في القصة فضل السيدة عائشة ومكانتها عند النبي ﷺ لقوله لها: «كنت لك كأبي زرع لأمّ زرع»، وفي رواية: «غير أني لا

أطلقك» فهو دليل حبه إياها، وتفضيلها على زوجاته.

٥٢- وفيها أنّ المرأة اللبيبة لا تيأس ولا تستسلم لمصاعب الحياة، فهذه أم زرع لم تيأس بعد طلاقها، ولم تستسلم للحزن بل بادرت بالزواج وبدأت حياة جديدة.

٥٣- وفيها: أنّ الطلاق ليس نهاية الحياة، فهذه أم زرع تزوجت، وهذا أبو زرع تزوّج.

٥٤- ومن الفوائد: أنّ في ديننا فسحة ومتعاً للترويح عن النفس بذكر مثل هذه الطرائف، لا سيّما إن كانت بين الزوجين فتكون محبوبة لما يحصل بسببها من ودٍّ ومحبةٍ.

٥٥- وفيها: أنّ ليس كل البيوت الزوجيّة قائمة على الحب بل ربما تقوم على الصبر من أجل استمرار الحياة.

والحمد لله ربّ العالمين.

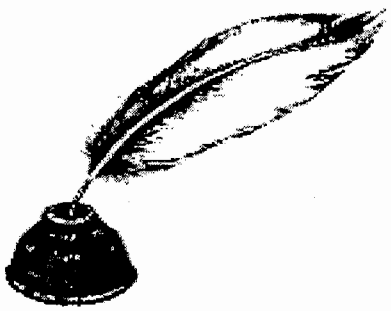

سبب الفجوة بين العلماء وبين طلاب العلم قال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز -رحمه الله-:

«الفجوة تنشأ عن انحراف الطالب أو انحراف العالم الذي يُنسب إلى العلم، فإذا كان الطالب رديئاً في الصلاة، أو يتظاهر بالمعاصي، أو بالعجلة والشدة، كرهه العلماء، وكرهه الأخيار، فلم يفرحوا بطلبه.

وكذلك العالم الفاسق، والعالم المعرض، يكرهه الطلبة الطيبون والمجتهدون في الدّعوة إلى الخير، الراغبون في الأجر، فيكون بينهم فجوة، أما العلماء الصالحون، والطلاب الصالحون فليس بينهم فجوةً -أبداً-، بل بينهم التعاون الصادق في كل خير...» إلخ.

[«مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٧/ ٢٣٥)]

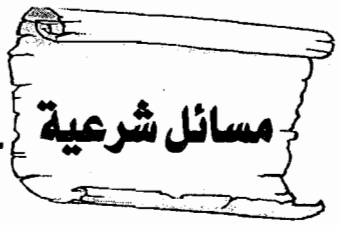

❖ الحلقة الثانية

الجامع لأحكام الاستغفار

● بقلم: أبي عبدالرحمن محمود سلامة المهر

* شروط قبول الاستغفار:

١- الإسلام: فإنّه شرط في قبول الأعمال جميعاً، وهو الدين الذي لا يقبل الله من أحد ديناً سواه.

قال -تعالى-: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾. [آل عمران:٨٥].

وقال -تعالى-: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران:١٩].

٢- الإقلاع عن الذنب: قال -سبحانه-: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران:١٣٥].

قال بعض العلماء: الاستغفار بلا إقلاع توبة الكذابين. [«الجامع لأحكام القرآن» (ج٩/ ٥)].

وقال الإمام القرطبي -رحمه الله-: وأما من قال بلسانه: أستغفر الله، وقلبه مُصِرٌّ على معصيته؛ فإنَّ استغفاره ذلك يحتاج إلى استغفار وصغيرته لاحقة بالكبائر.

قال قتادة: الإصرار: الثبوت على المعاصي. [«الجامع لأحكام القرآن» (ج٨/ ٢٠٠٠)].

وعن أبي بكر الصديق -رضي الله عنه-، قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «ما من عبد يذنب ذنباً فيحسن الطهور ثم يصلي ركعتين، ثم يستغفر الله، إلا غفر له، ثم تلا:

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً ﴾ »الآية [آل عمران:١٣٥]. [أخرجه أحمد والأربعة وصححه ابن حبان، وقد حسنه الحافظ ابن حجر -رحمه الله- «فتح» (ج١١/ ٩٨/ «صحيح سنن أبي داود»].

قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله-: «وفيه إشارة إلى أن من شروط قبول الاستغفار أن يقلع المستغفر عن الذنب».

٣- العزم في الاستغفار: فقد جاء عن النبي ﷺ، قال: «لا يقولن أحدكم: اللهم اغفر لي إن شئت، ليعزم المسألة، فإنه لا مُكْرِه له ». [متفق عليه «صحيح سنن أبي داود » (ج١ برقم ١٤٨٣)، وبنحوه «ترتيب صحيح الجامع » (ج ٣/ ٣٩٠)].

قال الإمام النووي -رحمه الله-: قال العلماء: عزم المسألة: الشدة في طلبها، والجزم، من غير ضعف في الطلب ولا تعليق على مشيئة ونحوها، وقيل: هو حسن الظن بالله -تعالى- في الإجابة، ومعنى الحديث: استحباب الجزم في الطلب، وكراهة التعليق على المشيئة، قال العلماء: سبب كراهته: أنه لا يتحقق استعمال المشيئة إلا في حق من يتوجه عليه الإكراه، والله -تعالى- منزه عن ذلك، وهو معنى قوله ﷺ -في آخر الحديث: «فإنه لا مُكْرِه له »، وقيل: سبب الكراهة أن في هذا اللفظ صورة الاستغفار على المطلوب والمطلوب منه. [«مسلم بشرح النووي» (١٧/ ٧) وبنحو هذا في «الفتح» (١١/ ١٤٠)].

٤- الإخلاص في الاستغفار: قال -تعالى-: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [البينة:٥].

وقال -تعالى-: ﴿ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾ [الزمر:١١].

قال النبي ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى ». [متفق عليه].

فالإخلاص شرط في قبول الأعمال جميعاً فلا بد منه.

قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله- نقلاً عن ابن أبي جمرة -رحمه الله-: «ومن شروط الاستغفار صحة النية والتوجه والأدب » [«فتح» (١١/ ١٠٠)].

قلت: والمقصود بهذا -والله أعلم-: الإخلاص في الاستغفار بأن يقصد وجه ربه الكريم، وأن يكون متأدباً مع ربه -عز

وجل- في الاستغفار؛ بأن يعزم المسألة كما مر -آنفاً-.

٥- الاستغفار بحضور قلب: وهذا شرطٌ في قبول العمل، ومنه الاستغفار، وهو أن يسأل ربه -تبارك وتعالى- وهو حاضر القلب، لا يسأل ربه -جل وعلا- غفران ذنوبه ومحو سيئاته وهو غافل لاه، لا يدري ماذا يسأل، ولا يعقل ما يقول.

وقد جاء عن النبي ﷺ أنه قال: «ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاهٍ». [«ترتيب صحيح الجامع» (٣/ ٣٩٣)، رواه الترمذي ٢/ ٢٦١، والحاكم (١/ ٤٩٣)، وانظر «سلسلة الأحاديث الصحيحة» برقم (٥٩٤)].

أوقات الاستغفار:

وللاستغفار أوقات فاضلة ترتجى فيها الإجابة أكثر من غيرها من الأوقات، فعلى المسلم الحريص على الخير وعمل الطاعات والصالحات أن يتحرى هذه الأوقات الفاضلة، لعل الله -سبحانه- يستجيب له، فيغفر له سيئاته ويتجاوز عن تقصيره وهفواته؛ فمن تلك الأوقات:

١- الاستغفار في وقت السحر: فقد جاء عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا حتى يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: من يدعوني فأستجيب له ومن يسألني فأعطيه ومن يستغفرني فأغفر له».

وفي رواية: فلا يزال كذلك حتى يضيء الفجر.

قال النووي -رحمه الله-: «وفيه الحث على الدعاء والاستغفار في جميع الوقت المذكور إلى إضاءة الفجر». [«مسلم بشرح النووي» (٦/ ٣٦/ ٣٧)].

وقال الله -سبحانه وتعالى-: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٧-١٨].

وقال -تعالى-: ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران:١٧].

٢- الاستغفار عَقِبَ أداء العبادات: إن الله -تبارك وتعالى- كثيراً ما يأمر عباده بذكره بعد أداء العبادات المفروضة كالصلاة والحج والزكاة وغيرها.

قال -سبحانه وتعالى-: ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [المزمل:٢٠].

وقال -سبحانه وتعالى-: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة:١٩٩].

ولهذا ثبت عن النبي ﷺ: أنه كان إذا أراد أن ينصرف من صلاته استغفر ثلاث مرات. [«مسلم بشرح النووي» (٥/ ٨٩)، عن ثوبان].

عن رجل من الأنصار، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول دبر الصلاة: «اللهم اغفر لي وتب علي، إنك أنت التواب الغفور». [«سلسلة الأحاديث الصحيحة» برقم (٢٦٠٣)].

٣- الاستغفار عقب الذنب: قال -سبحانه وتعالى-: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران:١٣٥].

وقال -تعالى-: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء:١١٠].

وقال -تعالى-: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء:٦٤].

وعن عائشة عن النبي ﷺ، قال: «إن كنتِ ألممتِ بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه، فإن التوبة من الذنب الندم والاستغفار». [«السلسلة الصحيحة» برقم (١٠٢٨)].

عن أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «ما من عبد يذنب فيُحسن الطهور ثم يصلي ركعتين، ثم يستغفر الله غفر له». [«فتح» (١١/ ٩٨)].

٤- الاستغفار داخل الصلاة: وهذا ما كان يفعله النبي ﷺ ويعلمه أمته، فقد جاء عن عائشة قالت: كان رسول ﷺ يكثر من قول: «سبحان الله وبحمده سبحان الله

أستغفر الله وأتوب إليه»، قالت: فقلت: يا رسول الله! أراك تكثر من قول: سبحان الله وبحمده، أستغفر الله وأتوب إليه، فقال: «خبّرني ربي أنّي سأرى علامة في أمتي، فإذا رأيتُها أكثرت من قول: سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه».

فقد رأيتها: «إذا جاء نصر الله والفتح (فتح مكة)، ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً فسبح بحمد ربك واستغفره إنّه كان تواباً».

وعنها قالت: ما رأيت النبي ﷺ منذ نزل عليه: إذا جاء نصر الله والفتح؛ يصلي صلاة إلا دعا أو قال: «سبحانك ربي وبحمدك اللهم اغفر لي». [«مسلم بشرح النووي» (٤/ ٢٠٢-٢٠٣)].

وعن أبي بكر أنه قال لرسول الله ﷺ: علّمني دعاء أدعو به في صلاتي قال: «قل: اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كبيراً -وقال قتيبة: كثيراً-، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني إنّك أنت الغفور الرحيم». [«مسلم بشرح النووي» (١٧/ ٢٧-٢٨)].

٥- الاستغفار عقب الخروج من الخلاء: فعن عائشة -رضي الله عنها- قالت: كان رسول الله ﷺ إذا خرج من الخلاء قال: «غفرانك». [«صحيح سنن الترمذي» (١/ برقم ٧].

قال ابن الأثير -رحمه الله- في شرح هذا الحديث: الغفران مصدر: وهو منصوب بإضمار: أطلب، وفي تخصيصه بذلك قولان:

أحدهما: التوبة من تقصيره في شكر النعمة التي أنعم بها عليه من إطعامه وهضمه وتسهيل مخرجه فلجأ إلى الاستغفار من التقصير.

والثاني: أنه استغفر من تركه ذكر الله تعالى مدة لبثه على الخلاء، فإنه كان لا يترك ذكر الله بلسانه أو قلبه إلا عند قضاء الحاجة، فكأنه رأى ذلك تقصيراً فتداركه بالاستغفار. [«النهاية في غريب الحديث والأثر» (٣/ ٣٧٣)].

٦- الاستغفار بين الأذان والإقامة:

فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «الدعاء لا يرد بين الأذان والإقامة». [«ترتيب صحيح» (٣/ ٣٩٨)].

ولا شك أن المسلم عندما يستغفر ربه -تبارك وتعالى- فهو إنما يدعو ربه -تبارك وتعالى- يدعوه -سبحانه- أن يغفر ذنبه ويتجاوز عن سيئاته ويعفو عنه.

فإن الدعاء قسمان كما ذكر ذلك بعض العلماء:

أ- دعاء عبادة: كالذي يصلي ويصوم ويحج ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويدعو إلى عبادة الله، فهو إنما يريد بذلك أن يغفر الله له ويعفو عنه ويدخله جنة عرضها السماوات والأرض.

ب- دعاء مسألة: حيث يسأل العبد ربه -تبارك وتعالى- أن يغفر له ويرحمه ويوفقه ويهديه صراطه المستقيم، ويحفظه من الشرك والبدع، وأن يدخله الجنة، ويعيذه من النار، إلى غير ذلك مما ورد في الكتاب والسنة.

٧- الاستغفار يوم الجمعة بعد صلاة العصر: عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «في يوم الجمعة ساعة لا يوافقها عبد يستغفر الله -عز وجل- إلا غفر له»، فجعل النبي ﷺ يقلّلها بيده.

وقول أبي هريرة: فجعل النبي ﷺ يقلّلها بيده. إنّما هو للترغيب فيها والحض عليها ليسرة وقتها وغزارة فضلها. [«صحيح سنن أبي داود» (١/ ١٩٥)].

قال النبي ﷺ: «يوم الجمعة ثنتا عشرة ساعة، منها ساعة لا يوجد عبد مسلم يسأل الله فيها إلا آتاه إياه، فالتمسوها».

٨- الاستغفار في الصباح والمساء: عن شداد بن أوس -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ: «سيد الاستغفار أن يقول: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليّ، وأبوء بذنبي، فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت»، قال: «من قالها من النهار موقناً بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل

الجنة، ومن قالها من الليل موقناً بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة ». [«فتح» (١١/ برقم ٦٣٠٦)]

وهذا الحديث الجليل العظيم قد أطال الحافظ ابن حجر -رحمه الله- في شرحه، وحق له ذلك؛ لما فيه من الفوائد وبديع المعاني وحسن الألفاظ، ورأيت تتميماً للفائدة أن أنقل ملخصاً مفيداً لشرح هذا الحديث من كلامه -رحمه الله- وكلام من نقل عنهم من أهل العلم -رحمهم الله جميعاً-.

قال الحافظ -رحمه الله-: قال الطيبي -رحمه الله-: «لما كان هذا الدعاء جامعاً لمعاني التوبة كلها استُعير له اسم السيد، وهو في الأصل الرئيس الذي يقصد في الحوائج، ويرجع إليه في الأمور».

وقال ابن أبي جمرة -رحمه الله-: في هذا الحديث من بديع المعاني وحسن الألفاظ ما يحق أن يسمى (سيد الاستغفار)، ففيه الإقرار لله وحده بالألوهية والعبودية والاعتراف بأنه الخالق، والإقرار بالعهد الذي أخذه عليه، والرجاء بما وعده به، والاستعاذة من شر ما جنى العبد على نفسه، وإضافة النعماء إلى موجدها، وإضافة الذنب إلى نفسه، ورغبه في المغفرة واعترافه بأنه لا يقدر أحد على ذلك إلا هو . . .). [«فتح» (١١/ ٩٩/ ١٠٠)].

فهذه أفضل الأوقات للاستغفار ولا شك أن من استغفر الله -سبحانه- في أي وقت من ليل أو نهار في السفر والحضر في الحرب والسلم إذا استكمل شروط قبول الاستغفار فإن الله -سبحانه- يستجيب له وهو على كل شيء قدير.

وللبحث بقية . . .

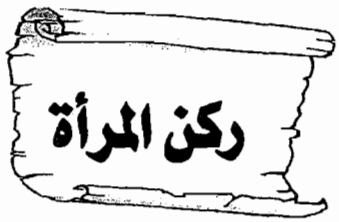

الحلقة الأولى

يُحبهم ويُحبونه

• بقلم: نجلاء الصالح

قال الله -تعالى-: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [آل عمران :١٤ -١٥].

أحمد الله -تعالى- الذي امتنّ على عباده بهذه النِّعم، وجَبَل النفوس على محبة من أحسن إليها، وجعل معرفة هذه النعم سبيلاً لمعرفة المنعِم، وهو القائل -سبحانه-: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ [النحل:٥٣].

وهذا يوجب الحمد والشكر لوليّ هذه النِّعم -سبحانه-، ومحبته محبة خالصة ممتزجة بتعظيم تام، وذل تام، وخضوع تام، وانقياد تام، إنها حقيقة العبوديّة.

وأساس الإسلام الذي لا يكمل إيمان العبد إلا به، هو روح الإيمان الدافعة لاستعمال نعم الله -تعالى- في طاعته، فإن خلا منها أصبح كالجسد بلا روح، فإنِ استعملها العبد فيما يكره المنعِم، فقد كفر النِّعم وضيَّعها، ولم يؤد شكرها.

إنَّ حقيقة العبوديّة لا تكتمل إلا بمعرفة ما يحبه الله -تعالى- وما يكرهه، وهذا يتطلب بصيرة تدرك حقيقة الدنيا، والحكمة من وجود الخلق عليها، فيتزوَّد العبد منها لما

بعدها، متقلّباً بين الخوف والرجاء، تعظيماً للخالق ومحبة له -سبحانه-.

المحبة: ما المحبة؟ إنها الموافقة التي توجب الطاعة، وعدم المخالفة في الغيب والشهادة.

المحبة: كلمة تتردّد كثيراً على ألسنة الناس عند إيثار المحبوب على جميع المصحوب.

المحبّة: تعلُّق القلب بالمحبوب، وشعور بالأنس والراحة والطمأنينة به.

المحبة: لا تُحَدُّ بحدود فحدُّها وجودها، ولا توصف بوصف أبينَ ولا أبلغ من المحبة، ومن ذاق طعمها عرفها!!

قال ابن القيم: «المحبة تدور في اللغة على خمسة أشياء:

١- الصفاء والبياض: ومنه قولهم لصفاء بياض الأسنان ونضارتها: حَبَبُ الأسنان.

٢- العلو والظهور: ومنه قولهم: حَبَبُ الماء وحُبابه، وهو ما يعلوه عند المطر الشديد.

٣- اللزوم والثبوت: ومنه حَبَّ البعير وأَحبَّ، إذا برك ولم يقم.

٤- اللب: ومنه حبَّةُ القلب: لِلُبِّه وداخله، ومنه الحبّة لواحدة الحبوب، إذ هي أصل الشيء ومادته وقوامه.

٥- الحفظ والإمساك: ومنه حِبُّ الماء، وهو الوعاء الذي يُحفظ فيه الماء ويُمسكه، وفيه معنى الثبوت -أيضاً-.

إنَّ هذه الخمسة من لوازم المحبة، إنها صفاء المودة، وهيجان إرادات القلب للمحبوب، وعلوها وظهورها منه لتعلقها بالمحبوب المراد، وثبوت إرادة القلب للمحبوب، ولزومها لزوماً لا تفارقه، ولإعطاء المحب محبوبه لُبَّه، وأشرف ما عنده وهو قلبه، ولاجتماع عزماته وإرادته وهمومه على محبوبه»[1].

إنَّ محبة المؤمن لله -تعالى- أشد، إنها منزلة يتنافس فيها المتنافسون، ويسعى إليها العاملون، قال الله -تعالى-: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ﴾ [البقرة:١٦٥].

والذين آمنوا أشد حباً لله، إنها منزلة يستقيم القلب بها، وباستقامته تستقيم الجوارح بتعظيم أمر الله، واجتناب نهيه الناشئ عن تعظيم الآمر والناهي -سبحانه

(١) «مدارج السالكين» (٣/ ٤٣٦-٤٣٧).

وتعالى-، وبها يكون العبد قائماً بحق الله -عز وجل- فيما شرع، وفيما يحبُّ ويكره، عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «من أحبّ لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله فقد استكمل الإيمان»[1].

إنَّ الله -تعالى- كتب قدراً كونياً وهو تزيين حبّ الشهوات، وجعلها زينة الحياة الدنيا وذلك أمر فطري وضروري لاستمراريّة الحياة بعد أن جعلهم خلائف فيها، على أن لا يطغى حب هذه الشهوات على حب الله -تعالى-، وحب رسوله ﷺ، وأن لا يؤدي تقديم هذه الشهوات وحبها إلى الانغماس في طلبها، والتشاغل بها، وحتى لا يصبح الإنسان مستعبداً لشهواته، ومتطلبات جسده، غافلاً عن متطلبات روحه وعقله، وما أوجده الله -تعالى- لأجله.

عن أنس -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث من كنّ فيه وجد بهنّ حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحبّ المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه، كما يكره أن يلقى في النار»[2].

إنّ ثمرة العقيدة السليمة، والتربية الإيمانيّة أن تكون محبة الله -تعالى- ورسوله ﷺ متقدمة على محبة النفس، والأهل، والمال، والولد، والناس أجمعين، عن أنس -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين»[3].

قال ابن بطّال، والقاضي عياض -رحمهما الله تعالى-: المحبة ثلاثة أقسام:

١- محبة إجلال وإعظام كمحبة الوالد.

٢- محبة شفقة ورحمة كمحبة الولد.

٣- محبة مشاكله واستحسان وهي محبة سائر الناس.

وقد جمع رسول الله ﷺ أصناف المحبة الثلاثة في محبته، إذ إننا ندرك ونستشعر مدى محبة الولد لوالده، وحاجته إليه، ووجوب احترامه، وتوقيره، وإجلاله، وتقديره.

وكذلك ندرك مدى محبة الآباء والأمهات لأبنائهم وبناتهم وفلذات أكبادهم . . .

---

(١) «الصحيحة» (٣٨٠)، «صحيح الجامع» (٥٩٦٥).

(٢) متفق عليه.

(٣) متفق عليه.

ومحبـــة الإخـــوة والأخـــوات، والأزواج، والأقارب، والأصدقاء، ومحبة من تآلفت قلوبهم على مِنَّةٍ أو هوى متبع أو عصبية، عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «الناس معادن كمعادن الذهب والفضة، خيارهم في الجاهليّة خيارهم في الإسلام إذا فَقُهُوا، والأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر اختلف»(١).

فكيف بمحبة من خلق هؤلاء جميعاً، وهم أحْوج ما يكونون إليه في كل لحظة؟!

وكيف بمحبّة من بلّغ عن الله -تبارك وتعالى- ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، ولينالوا باتباعه سعادة الدنيا والآخرة، فحري بنا أن نملأ شِغاف القلب بحب الله -تعالى- وحب رسوله ﷺ؛ فهل هذا يكفي؟

لا؛ ليس الشأن فقط في أن نحب الله، فإنّ جلّ الناس يدعيه، ولكنّ الشأن الأعظم أن يحبك الله -سبحانه-، فما السبيل إلى محبة الله -تعالى-؟

١- إنّ الله سبقت محبته لأحبائه الذين آمنوا بأسمائه وصفاته، وأجابوا دعوته، وصدقوا رسالته، واتبعوا نبيه، وآثروا محابه، فامتدحهم على ما وهب لهم، واشترى منهم ما امتنّ به عليهم، قال الله -تعالى-: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١]، «فمن خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزلة، ألا إنّ سلعة الله غالية، ألا إنّ سلعة الله الجنّة»(٢).

٢- عرفوا عظمة المشتري، وجلالة من عَقَدَ البيع، فبادروا إلى حُسن الأدب مع ولي النعم -سبحانه- بتقديم محابّه، والتأدب بها اعتقاداً، وعبادة، واتباعاً اقتداءً بالأسوة الحسنة رسولنا ﷺ، قال -تعالى-: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]، وقال -تعالى-: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ

(١) «مختصر صحيح مسلم» (١٧٧٢)، «صحيح الجامع» (٦٧٩٧).

(٢) «الصحيحة» (٢٣٣٥)، «صحيح الجامع» (٦٢٢٢).

ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٣١-٣٢]، إنّ الله أثبت لنفسه صفة المحبة في أكثر من موضع في كتابه العزيز، وثبتت في أحاديث صحيحة عن الرسول ﷺ نثبتها كما جاءت دون تأويل باطل، ولا تشبيه، ولا تكييف، ولا نفي، وهذا منهج سلفنا الصالح -رحمهم الله تعالى-، قال -تعالى-: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [المائدة: ٥٤].

إنّ الله -تعالى- ورسوله ﷺ أولى بالمحبة من كل محبوب، أدرك ذلك سلفنا الصالح -رحمهم الله تعالى-، فرسّخوا محبتهم بمتابعة الصادق المصدوق في كل شأن من شؤون حياتهم؛ لانّ المتابعة مقترنة بالإخلاص والتوحيد، وسبب من أهم أسباب محبة الله -تعالى- الفوز برضاه، فمن وفقه الله -تعالى- إليها أدرك خيري الدنيا والآخرة، لأنه -سبحانه وتعالى- يُحب أقوالاً وأعمالاً بيَّنها، وأقواماً اتّصفوا بصفات ذكرها وحثّهم عليها فبادروا إليها، أذكر منها:

٣- الإحسان: قال الله -تعالى-: ﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

٤- التقوى: وصية الأولين والآخرين: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: ٧٦].

وقال -تعالى-: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الأنفال: ٢٩].

٥- حسن التوكل على الله -تعالى-: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ

فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران:١٥٩].

٦- الصبر: قال -تعالى-: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران:١٤٦-١٤٨].

إنّ الدعاء الخالص الحار يأتي مع الألم والمعلناة، يرفع العبد أكُفَّ الضراعة والابتهال لمولاه مستكيناً مستسلماً بين يديه رافعاً شكواه، فيتجلّى صدق المحبة عند البلاء والرضى بالقضاء، وإن خالف الأهواء.

عن محمود بن لبيد -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ الله إذا أحبّ قوماً ابتلاهم، فمن صبر فله الصبر، ومن جزع فله الجزع»(١)، قال -تعالى-: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [القصص:٥٠].

ها هو الخليل إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- شيخ كبير، والزوج عجوز عقيم، يأمره الله -سبحانه وتعالى- بذبح ولده إسماعيل، وقد منّ عليه به بعد طول انتظار، وبلغ مع أبيه السعي، وتمكنت المحبة، وذَبْح الأب للابن أبلغُ في الابتلاء والاختبار.

فهل قدّم محبة فلذة كبده على أمر الله -تبارك وتعالى- ومحبته؟ وهل اختار إسماعيل -عليه الصلاة والسلام- الحياة الدنيا على طاعة ربه ومحبته وطاعة والده؟

قال الله -تعالى-: ﴿ فَبَشَّرْنَـٰهُ بِغُلَـٰمٍ حَلِيمٍ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَـٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَـٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّـٰبِرِينَ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ وَنَـٰدَيْنَـٰهُ أَن يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَـٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ وَفَدَيْنَـٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى

(١) رواه أحمد، انظر «الصحيحة» (١٤٦)، «صحيح الجامع» (١٧٠٦).

ٱلْآخِرِينَ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴾ [الصافات: ١٠١-١١٣]، كان هذا اختبار المحب لمحبوبه، وامتحانه إياه، آثر المبتلى حبّ حبيبه -سبحانه- فأتمّ عليه نعمه، بادر الأب والابن استجابة لأمر الله -تعالى-، ومسارعة لمرضاته، فأقرّ الله العين بإبقاء الابن على سلامته، ففداه بكبش ليكون سنّة متبعة إلى يوم الدين، وبشارة بابن آخر من الصالحين، وبارك الله عليه، ورفع ذكره، وجعل أكثر الأنبياء من نسله، وكرامات إثر كرامات!! ﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[الصافات:١٠٥].

٧- يـالله!!! مـا أروع الحِلـم والأنـاة، والاسـتجابة لأمـر الله، هـدوء وسـكينة، وطمأنينـة لمـا عنـد الله، أمـا لنـا فـيهم أسـوة حسنة؟!

عـن جـابر -رضي الله عنـه- قـال: قـال رسول الله ﷺ: «إنّ الله إذا أحـبّ أهـل بيـتٍ أدخل عليهم الرفق»[1].

وعـن معـاذ -رضي الله عنـه- قـال: قـال رسول الله ﷺ للأشجّ، أشجّ عبـد القـيس: «إنّ فيك خصلتين يُحبهما الله: الحلم، والأناة»[2].

خصـلتان مـن خصـال الخـير يُحـبهما الله -تعـالى-: (الحلـم، والأنـاة)، إنهـما احـترام الذات بحسن التصرف والإنصات، وامتلاك النفس عند الغضب بصبر وثبات، وعفو عند المقدرة، وطيب عطاء، أسلوب راقٍ للدخول إلى العقل والقلب عند الناس، وحسن خلقٍ يُحبه الله -تعالى- ويرضاه، فلِمَ يبخـل بهـا أخ عـلى أخيـه؟ وزوج عـلى زوجـه؟ وراعٍ عـلى رعيته؟ وهم أولى الناس به؟!

قـال ﷺ: «إنّ مـن أحـبكم إليّ وأقـربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً»[3]، وقال ﷺ: «إنّما العلـم بـالتعلّم، وإنـما الحلـم

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «ذم الغضب»، وانظر «الصحيحة» (١٢٣٩)، «صحيح الجامع» (١٧٠٤).

(٢) «مختصر صحيح مسلم» (١).

(٣) رواه الترمذي عـن جـابر -رضي الله عنـه-، انظـر «الصـحيحة» (٧٩١)، «صـحيح الجـامع» (٢٢٠١).

بالتحلم، ومن يتحرّ الخير يُعطه، ومن يتوقَّ الشر يوقه»[1].

٨- الزهد: عن سهل بن سعد -رضي الله عنه- قال: «ازهد في الدنيا يُحبك الله، وازهد فيما في أيدي الناس يُحبك الناس»[2]، وفي رواية: «ازهد في الدنيا يُحبك الله، وأما الناس فانبذ إليهم هذا يُحبوك»[3].

٩- التوبة، والطهارة: قال الله -تعالى-: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة:٢٢٢]، إنَّ التوبة من أحب العبوديات لله -تعالى- والقربات إليه، خاصة إذا أدرك التائب حقيقة التوبة التي تتمثل في:

أ- تعظيم الله -تعالى- في قلب المؤمن، والخوف من عقابه.

ب- النظر إلى بلاء المعصية أو الجناية، وذلك بندم العاصي على ارتكابها.

جـ- التصديق بالوعد والوعيد عاجلاً أو آجلاً.

«والطهور شطر الإيمان»، فمن فضل الله على عباده، وتمام نعمته أن شرع لهم الطهارة، وجعلها سبباً من أسباب محبته -سبحانه-، سواء كانت طهارة النفس من أدران الشرك، والكفر، والذنوب، والمعاصي، والحقد، والحسد، والغش، والغل، والكبر، والعجب، والرياء، وهي الطهارة الباطنة، أو كانت الطهارة الظاهرة من الخبث والحدث، وبذا تتحقق صحة الأبدان والنفوس في مجتمع نظيف متميز.

وللبحث بقية . . .

(١) رواه الدارقطني، والخطيب عن أبي هريرة، وأبي الدرداء -رضي الله عنهما-، انظر «الصحيحة» (٣٤٢)، «صحيح الجامع» (٢٣٢٨).

(٢) «صحيح الجامع» (٩٢٢).

(٣) رواه أبو نعيم في «الحلية»، وانظر «صحيح الجامع» (٩٢٣).

الموسم العلمي الدعوي الأول
لـ(مركز الإمام الألباني
للدراسات المنهجية والأبحاث العلمية)

أقام (مركز الإمام الألباني للدراسات المنهجية والأبحاث العلمية) -في موقعه- في الفترة الواقعة بين (١٣جمادى الأولى ١٤٢٥هـ - ١٥ جمادى الأولى/ ١٤٢٥هـ) الموافق (١-١٥/ ٧/ ٢٠٠٤م) موسمه العلمي الدعوي الأول، الذي احتوى على:

أولاً: الملتقى العلمي الدعوي الأول.

لقد كان (الملتقى العلمي الدعوي الأول) تجربة علمية رائدة -أُولى- للمركز، وقد تميّز -ولله الحمد- بنجاح كبير، وحضور منقطع النظير -مِن الدخل والخارج-.

وكان برنامجُ (الملتقى) عبارةً عن مجموعة مِن المحاضرات والندوات؛ألقاها عددٌ مِن المشايخ والعلماء والدعاة -وبعضهم قد استجاب -جزاه اللهُ خيراً- لدعوة المركز له مِن بعض البلاد الإسلامية الأخرى، مثل: (الشيخ خالد العنبري -من مصر-، والشيخ عبدالرحمن التميمي -مِن أندونيسيا-، والشيخ هشام العارف -مِن فلسطين-).

وكانت الدعوةُ قد وُجِّهت إلى فُضَلاءَ آخرين من غيرهم؛ لكن لم يُقَدِّر اللهُ -تعالى- لهم- المجيء، فاعتذر عن ذلك أكثرُهم في اللحظات الأخيرة- لأسباب معظمُها خارجٌ عن الإرادة-.

أمّا المحاضرات التي أُلقيت في (الملتقى)؛ فهي:

١- الإسناد من خصائص أهل السنة والجماعة.
٢- التجديد.
٣- منهج السلف في التعامل مع الفتن.
٤- التربية الربانية.
٥- الوسطية.
٦- العدل والإنصاف.

٧- أهل السنة والجماعة -تأريخاً وتأصيلاً-. ٨- الدعوة السلفية في إندونيسيا.

٩- القلة والكثرة. ١٠- التصفية.

وأمّا الندوات؛ فهي:

١) «الغلو في التطرف والتكفير».

٢) «الأصالة والمعاصرة».

٣) «الثبات والشمول».

* فعاليات الملتقى:

افتتاح الشيخ سليم الهلالي -مدير المركز -اليوم الأول- الملتقى الساعة الخامسة مساءً بـ«الكلمة الافتتاحية والترحيب»، ثم ألقى الشيخ خالد العنبري المحاضرة الأولى بعنوان: «الإسناد من خصائص أهل السنة والجماعة»، ثم المحاضرة الثانية للشيخ سليم الهلالي بعنوان: «التجديد»، والمحاضرة الثالثة للشيخ مشهور حسن بعنوان: «منهج السلف في التعامل مع الفتن»، ثم عقدت ندوة بين صلاة المغرب والعشاء بعنوان: «الغلو في التطرف والتكفير» ، شارك فيها الشيخ علي الحلبي، والشيخ خالد العنبري والشيخ محمد موسى نصر.

- أما اليوم الثاني للملتقى فابتدأ الشيخ حسين العوايشة محاضرته بعنوان: «التربية الربانية»، ثم المحاضرة الثانية للشيخ محمد موسى نصر بعنوان: «الوسطية»، ثم المحاضرة الثالثة للشيخ هشام العارف بعنوان: «العدل والإنصاف»، ثم عقدت ندوة بين صلاة المغرب والعشاء بعنوان: «الأصالة والمعاصرة»، شارك فيها الشيخ حسين العوايشة، والشيخ هشام العارف، والشيخ علي الحلبي.

- أما اليوم الثالث والأخير كانت المحاضرة الأولى بعنوان: «أهل السنة والجماعة تأريخاً وتأصيلاً» للشيخ أكرم زيادة، والمحاضرة الثانية للشيخ عبدالرحمن التميمي بعنوان: «الدعوة السلفية في أندونيسيا»، والمحاضرة الثالثة للشيخ محمود عطية بعنوان: «القلة والكثرة»، والمحاضرة الرابعة للشيخ علي الحلبي بعنوان: «التصفية»، ثم عقدت ندوة بين صلاة المغرب والعشاء بعنوان: «الثبات والشمول»، شارك فيها الشيخ باسم الجوابرة، والشيخ مشهور حسن، والشيخ سليم الهلالي.

* أهداف الملتقى:

١- تعريف عامّة المسلمين بـ(أهل السنة والجماعة)، وعظيم منزلتهم في الإسلام.

٢- بيان دور (أهل السنة والجماعة) في خدمة الإسلام والمسلمين.

٣- توحيد المسلمين على العقيدة السّمحة، والسنة الصحيحة، وفهم الصحابة -رضي الله عنهم- ومن اتبعهم بإحسان.

٤- بيان أهمية رجوع المسلمين إلى منهج (أهل السنة والجماعة) الذي هو (وسط) بين الغلّو والتقصير، والإفراط والتفريط.

٥- تصدّي منهجِ (أهل السنة والجماعة) للأفكار المنحرفة المنتسبة للإسلام، والبريء منها.

٦- إظهار أنّ دعوة (أهل السنة والجماعة) هي: دعوة الإيمان والأمن والآمان للبلاد والعباد، ولا سيما في زمان المحن.

٧- تمييز دعوة (أهل السنة والجماعة) عن أفكار الغلو في فتنة التكفير، وحركات التهييج العامة، وإثارة الفتن.

٨- تحقيق مقولة العلماء الربانيين: «أهل السنة والجماعة أعلم الناس بالحقِّ، وأرحم الناس بالخلق، وبخاصة في زمان الجهل والظلم».

وقد خَرَج هذا الملتقى العلمي الدعوي -في ضوءِ مُحاضراته، وندواته، وأهدافهِ- بمجموعةٍ مِن التصوّراتِ، والحقائق والتوجيهات؛ نُجملُها بالتالي:

١- عَرْض الإسلام عرضاً علمياً تأصيلياً صحيحاً؛ بعيداً عن العواطف الجارفة، والحماسات العاصفة.

٢- الإسلام الحق -المتمثّل بمنهج أهل السنة والجماعة -وهو الوسط الشرعيّ- هو السبيل الوحيد لإخراج البشرية -كلّها- من ظلمات الانحراف والتخبّط إلى أنوار الهداية والتوفيق.

٣- الإسلام الحقّ دينٌ واقعيٌّ حيٌّ؛ يربط بين الأصالةِ والمعاصرة، والعلوم الشرعية والمعارف الكونية؛ ليستثمر ذلك -كلّه-، ويسخّره في سعادة الإنسان -وفق ما يُرضي الله -تعالى-.

٤- الإسلام دين الوسطية الحقة؛ بعيداً عن الغلوّ والتقصير، والإفراط والتفريط، والتشدُّد والتمييع.

٥- شمول الإسلام لخيرَي الدنيا والآخرة، وإصلاحه لجميع مناحي الحياة وشؤونها.

٦- الثبات على الإسلام الحقّ: مفتاح الإيمان والأمن والأمان.

٧- بيان خطورة وانحراف الفكر التكفيري، وكشف آثاره المدمّرة على الأفراد والمجتمعات.

٨- ضرورة التحذير من الفتن، المنبثقة عن الجهل والظلم.

٩- أهمية تحقيق الأمن في المجتمعات الإسلامية، وأن إقامة الشرع في الناس أهمُّ أسباب ذلك.

١٠- تعاون المسلمين فيما بينهم على البر والتقوى، مُعتصمين بحبل الله -تعالى- السببُ الرئيسُ لنهوضهم، وعزّتهم وتمكينهم.

. . . هذا مُجملٌ شاملٌ لأهم التأصيلات العلميةِ التي كانت مدارَ رحى هذا (الملتقى).

ثانياً: دورة العلوم الشرعية (السادسة).

تمّ -بفضل الله وبنعمته- الانتهاء من الدورة السادسة التي بدأت بتاريخ (١٨/ جمادى الأولى/ ١٤٢٥هـ - الموافق ٦/ ٧/ ٢٠٠٤م) إلى تاريخ: (٢٧/ جمادى الأولى/ ١٤٢٥هـ - الموافق ١٥/ ٧/ ٢٠٠٤م)، وقد اشتملت على المواد العلمية التالية:

المواد العلمية			
تفسير سورة الفاتحة	أصول دراية الحديث	مسائل في فقه الجهاد	
العقيدة	المنهج	صلة اللغة العربية بالأحكام الشرعية	الأخلاق والتزكية

هيئة التّدريس	
الشيخ/ محمد بن موسى آل نصر	الشيخ/ سليم بن عيد الهلالي
الشيخ/ أحمد الخشاب أبو اليسر	الشيخ/ حسين بن عودة العوايشة
الشيخ/ علي بن حسن الحلبي	الشيخ/ مشهور بن حسن آل سلمان
الشيخ/ أكرم بن محمد زيادة	

شارك في هذه (الدورة) طلبة العلم من داخل البلاد وخارجها.

ونسأل اللهَ -تعالى- المزيدَ من فضلهِ، والتوفيقَ للسداد، والثباتَ على الحقّ، وأن ينفعَ بنا الأمة، وأن يهديَ بنا الخَلْق.

ثالثاً: وقائع ملتقى المركز الإسلامي بمدينة (لوتن):

عقد في مسجد الغرباء بمدينة (لوتن) البريطانية الملتقى الدَّعوي عن (الأسرة المسلمة) في الفترة ما بين (١٠-١٥/ رجب/ ١٤٢٥هـ الموافق ٢٦-٣١/ ٨/ ٢٠٠٤م).

وكان المشاركون في هذا الملتقى أصحاب الفضيلة المشايخ: (سليم بن عيد الهلالي، محمد بن موسى آل نصر، علي بن حسن الحلبي، حسين بن عودة العوايشة، أسامة بن عبداللطيف القوصي).

المحاضرات التي أُلقيت:

- (الثبات على الإسلام) للشيخ سليم الهلالي.
- (مقومات الأسرة المنوذجية المسلمة في الغرب) للشيخ علي الحلبي.
- (واجبات المرأة المسلمة نحو الجالية المسلمة في الغرب) للشيخ أسامة القوصي.
- (تربية الأبناء) للشيخ حسين العوايشة.
- (التغريب) للشيخ محمد موسى نصر.
- (الطائفة المنصورة) للشيخ سليم الهلالي.
- (أهمية التمسك بالسنة في الغرب) للشيخ علي الحلبي.
- (إنَّا لله) للشيخ حسين العوايشة.

والله وليّ التوفيق.

رابعاً: أسبوع (القرآن يا أمة القرآن) -للنساء-:

وقد كتبت إحدى الأخوات الفاضلات تقريراً علمياً حول مجرياتهِ؛ هذا نصُّه:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

مشايخي الكرام وفقكم الله لكل خير ونفع بكم المسلمين:

بفضل الله -تعالى- وتوفيقه، ثم بمبادرة طيّبة من الأخت المربية الفاضلة [أم عبدالله هند العيناتي] جزاها الله عنا خير الجزاء، وكذلك توجيهاتكم السديدة، بدأت (اللجنة النسائية) بـ(مركز الإمام الألباني) -رحمه الله، وجعل الفردوس الأعلى مأواه-، أول فعالياتها حول موضوع (القرآن الكريم) بعنوان : أسبوع (القرآن يا أمة القرآن) .

في الفتره من: السبت (١٣ــ الخميس ١٨/ جمادى الآخرة/ ١٤٢٥هجري) الموافق (٣١/ تموز ــ ٥ آب/ ٨/ ٢٠٠٤ م) من الساعة (٥:١٥-٧:١٥) مساء .

يسرني أن أقدم تقريراً موجزاً لوقائعه، سائلة المولى -عز وجل- أن يجعلها فاتحة خير وبركة، وأن يجعلنا جميعا من أهل الله وخاصته، من أهل القرآن وحفظته .

١- تم الاتفاق مع مسؤولي مدرسة أنوار الصباح لاستئجار باص لنقل الأخوات من وإلى أماكن المحاضرات، كذلك تم الاتفاق مع سيارة لإحضار الأخت الضيفة لأماكن المحاضرات وإعادتها.

٢- رأيت أن أدعو الأخوات للقاء غداء وود وتعارف وتكريم للأخت الضيفة وللأخوات، قبل بدء المحاضرات يوم الخميس، بمركز الإمام الألباني -رحمه الله-، وتم ذلك بفضل الله تعالى، وحضر عدد من الأخوات من عدة مناطق -جزاهن الله خيراً-.

بعد الغداء ألقيت كلمة ترحيب بعنوان: (مرحباً بكن أحبة في الله)، وألقت (أخت فاضلة أخرى) كانت عن يميني، آثرت عدم ذكر اسمها كلمتها، ثم ألقت الأخت الفاضلة (أم عبدالله هند العيناتي) كلمتها -جزاهن الله خيراً-.

٣- يوم السبت: مكان المحاضرة: مركز الإمام الألباني -رحمه الله-، المحاضرة الأولى كانت بعنوان:(**آيات لأولي الأبصار**)، عرضت على جهاز العرض (بروجكتر).

موضوع المحاضرة يدور حول: معجزات الله الكونية، كبدء الخلق، المجرات، الإنسان، الحشرات، وغير ذلك من الإيمانيات الدالة على عظيم قدرة الله -تبارك وتعالى-.

والطريقة التي كانت تُدار بها المجلس: كنت قبل البدء بالمحاضرة، أتلو آية أو حديثاً كمقدمة

للموضوع، ثم أقدم الأخت الفاضلة للأخوات، وبعد انتهاء المحاضرة أشكر الأخت المحاضرة والأخوات، وهكذا في كل محاضرة.

٤- يوم الأحد: مكان المحاضرة الرابية، المحاضرة الثانية كان جزء منها إعادة لمحاضرة (**آيات لأولي الأبصار**) على جهاز العرض، بناء على رغبة الأخوات، ثم بسبب انقطاع الكهرباء، قدمت الأخت المحاضرة الفاضلة موضوع: (**اعرف الأسباب تفهم الكتاب**) يدور موضوع المحاضرة حول: أهمية معرفة أسباب النزول، وأثرها في فهم القرآن، وحفظه، والعمل بأحكامه.

٥- يوم الاثنين: مكان المحاضرة: مركز الإمام الألباني -رحمه الله-، المحاضرة الثالثة كانت بعنوان: (**مشتبهاً وغير متشابه**) عرضت على جهاز العرض (بروجكتر) تدور حول: عظيم قدرة الله -عز وجل-، وإعجازه في مخلوقاته، وفي كتابه (القرآن الكريم) فكثيراً ما تتشابه الكلمات ويختلف المعنى، مع ضرب كثير من الأمثلة.

٦- يوم الثلاثاء: مكان المحاضرة: جبل النصر مسجد التقوى، بناء على رغبة الأخوات -من جديد-، أعيدت محاضرة (**آيات لأولي الأبصار**) على جهاز العرض.

٧- يوم الأربعاء: مكان المحاضرة: بيادر وادي السير، عنوان المحاضرة: (**كيف نفسر القرآن**)، تدور المحاضرة حول تفسير القرآن الكريم، وأنواعه، وأهمية معرفة النسخ، والمحكم والمتشابه، وبيان المجمل، وتوضيح المشكل، وتخصيص العام، وبيان الأحكام، ثم حضت الأخت المحاضرة -جزاها الله خيراً- الأخوات على وجوب التمسك باللغة العربية (لغة القرآن)، والمحافظة عليها لسعة آفاقها، وأهميتها في فهم القرآن الكريم وحفظه.

٨- يوم الخميس: المكان: مركز الإمام الألباني -رحمه الله تعالى-، عنوان المحاضرة : (**لماذا لا نخشع؟ لماذا لا نتأثر بالقرآن؟**)، تدور المحاضرة حول موضوع: الخشوع وأهميته، والأسباب المانعة من الخشوع، والأسباب التي تعين عليه، باختصار، ثم لقاء مفتوح أجابت الأخت الفاضلة أم عبدالله (هند العيناتي) على أسئلة الأخوات.

٩- ألقيت بعدها كلمة شكر وعرفان، بعنوان: (مسك الختام لأسبوع القرآن يا أمة القرآن).

١٠- ألقت الأخت الفاضلة أم طارق (فاطمة طنايب) كلمة شكر وتقدير نيابة عن الحضور.

١١- قدمت للأخت الفاضله أم عبد الله (هند العيناتي) هدية رمزية تذكارية، نيابة عن الأخوات في اللجنة النسائية تحمل شعار مركز الإمام الألباني -رحمه الله-، والشكر والتقدير على جهودها الطيبة.

أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يجزيها وإياكم عنا خير الجزاء، ويجعل عملنا جميعاً خالصاً ابتغاء مرضاته وابتغاء وجهه الكريم.

خامساً: الملتقى الطبي -للنساء-:

وبإشراف (اللجنة النسائية) عقد -أيضاً- في مقر (مركز الإمام الألباني): **الملتقى الطبي** -للنساء-، بتنسيق مع بعض الأخوات الفاضلات -جزاهن الله خيراً-.

وقد اشتمل هذا الملتقى على المحاضرات التالية:

التاريخ	عنوان المحاضرة	اسم المحاضرة	التخصص
الاثنين: (١٤ رجب/١٤٢٥هـ)- (٢٠٠٤/٨/٣٠م)	الاستحاضة أسباب وأحكام	الدكتورة كميليا خصاونة	طبيبة نسائية
الثلاثاء: (١٥ رجب/١٤٢٥هـ)- (٢٠٠٤/٨/٣١م)	نبذة عن الأورام التي تصيب النساء	الدكتورة إيمان شجراوي	طبيبة عامة وأورام
الأربعاء: (١٦ رجب/١٤٢٥هـ)- (٢٠٠٤/٩/١م)	صحة الفم والأسنان	الدكتورة سلمى سرحان والدكتورة وسام خرفان	طبيبة أسنان
الخميس: (١٧ رجب/١٤٢٥هـ)- (٢٠٠٤/٩/٢م)	الحجامة	الدكتورة وسام خرفان والأخت نجلاء الصالح	طبيبة أسنان اللجنة النسائية

بيان العلم مسؤولية الجميع

● بقلم: أسرة التحرير

بيان العلم عمليّة مشتركة بين المتكلم والسامع، المتكلم عليه أن يبيِّن ويُجلّي، والسامع عليه أن يفهم ويدرك، فإذا تكلم المتكلم من غير مراعاة لحال السامع، ويسمع السامع من غير استظهار مراد المتكلم وقع الانفصال والانفصام.

فههنا أمران:

١- بيان المتكلم.

٢- وتمكن السامع من الفهم.

كما قال ابن القيم -رحمه الله-: «فإن لم يحصل البيان من المتكلم، أو حصل له، ولم يتمكن السامع من الفهم لم يحصل مراد المتكلم، لم يحصل مراد المتكلم، فإذا بيَّن المتكلم مراده بالألفاظ الدالة على مراده، ولم يعلم السامع معنى تلك الألفاظ، ولم يحصل البيان، فلا بدّ من تمكن السامع من الفهم، وحصول الإفهام من المتكلم»[1].

(١) «الصواعق المرسلة» (١/ ٣١٠).

فالمتكلم عليه الإفهام وبيان المراد، والسامع عليه الاجتهاد في الفهم والإدراك.

والمتكلم عليه مراعاة حال السامع، والسامع عليه أن يستظهر مراد المتكلم.

والمتكلم عليه أن يتكلم بما كان حقاً في نفسه، والسامع عليه أن يسمع الحق سماع قبول وطاعة.

والمتكلم عليه أن يتكلم في مقدمات صادقة، وقضايا ثابتة، والسامع يشتغل بالتفكر ووعي المقالة، بحيث لا يورث استماعه بشبهات، وعداوة أو سماع مفضول، أو استماع فيه تضيع الأوقات.

ولهذا؛ فإن تصور حصول العلم بمقتضى هذه المقدمة التي انتظمت على بيان المتكلم وفهم السامع مهم في بابين:

الأول: إذا أردت أن تؤصل العلم: فيجب أن يكون كل مريد للعلم ملزماً بالبيان تارة وبالفهم الصحيح تارة أخرى، والمسؤوليّة تقع -ابتداءً- على المتكلم؛ لأنّ مبدأ الشروع بالفعل منه، ولأنّ السامع بالنتيجة سيكون متكلماً وملزماً، فقد قال النبي ﷺ: «ربّ مبلّغ أوعى من سامع»[1].

أمّا الباب الثاني: إذا أردت أن تحكم على المخالف بالعدل؛ فأول ما يجب أن يعلم في هذا الباب هو تضييق جهة الخطأ، هل الخطأ من جهة بيان المتكلم، أم من يهمه فهم السامع، وآنذاك يقال: المتكلم يحاكم ببيانه، والسامع يُحاكم بفهمه.

إذن بيان العلم مسؤوليّة الجميع . . .

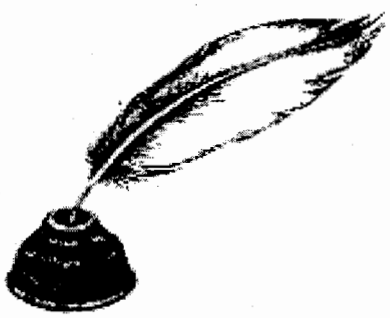

(١) رواه البخاري.

بسم الله الرحمن الرحيم

مركز الإمام الألباني
للدراسات المنهجية والبحوث العلمية

قسيمة اشتراك

الاسم:.....

البلد:..... المدينة:..... الحي:.....الشارع:.....

رقم المنزل:..... الهاتف:..... الفاكس:.....

العنوان البريدي: .....

❑ اقتراحات أخرى: .....

.....

بالبريد المستعجل يرسل إلى المشترك كل من:

١- مجلة الأصالة ٢ - الإصدارات العلمية للمركز ٣- الإصدارات السمعية للمركز

قيمة الاشتراك السنوي:

- الأردن (٤٠) دينار - دول الخليج (١٥٠) دولار
- دول أوروبا (١٥٠) دولار - أمريكا (٢٠٠) دولار.

ترسل الحوالة إلى الحساب التالي مع إشعار إلى مركز الإمام الألباني:

- البنك الإسلامي الأردني – فرع طارق- الأردن.

رقم الحساب: ١١٢٥٩ - اسم الحساب: محمد موسى نصر وسليم عيد الهلالي.

-Jordan Islamic Bank for Finance and Investment

Tareq/Tabarbour Branch , Amman ١١٩٤٧ Jordan

Bank Code : JIBAJOAMXXX

Account Number : ١١٢٥٩

Account Name : Salim Eid Mohammad Hilali & Moh 'D Mousa Hussein Naser

تلفاكس ـ مركز الإمام الألباني:٥٠٥٤٠٥٣ (٠٠٩٦٢ ٦).

Telefax : ٠٠٩٦٢٦٥٠٥٤٠٥٣ - www.albani-center.com - E-mail: albani١٤٢١@hotmail.com